الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

جامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة

كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإنسانية

القسم : العلوم الإنسانية

تخصص : تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

الأوضاع الإقتصادية والاجتماعية والثقافية في حاضرة تونس خلال القرنين (7-10هـ / 13-16م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبتين:

- إبتسام بوعبدالله
- أميرة رجم

إشراف الاستاذ:

- أ. د محمد قو يسم

لجنة المناقشة :

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
أ. عمار سماعلي	أستاذ محاضر	رئيسا	20 أوث 1955 سكيكدة
أ. د محمد قو يسم	أستاذ محاضر	مشرفا و مقررا	20 أوث 1955 سكيكدة
أ . جواد موسى	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	20 أوث 1955 سكيكدة

السنة الجامعية1445-1446ه / 2024-2025م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الذي هدانا إلى سبيل العلم وأنعم علينا بنعمه لمواصلة المشوار الجامعي .

فبداية وقبل كل شيء نحمد الله عزوجل على هدايته وتوفيقنا في إنجاز هذا البحث .

ثم نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف :

الأستاذ الدكتور" محمد قويسم" الذي تعهدنا بالرعاية الدائمة والتوجيه المستمر، ولم يبخل علينا بنصائحه القيمة وتوجيهاته السديدة خلال مسيرتنا في إنجاز هذا العمل، وتحمل معنا عناء إنجاز هذه المذكرة .

كما نتقدم بأسمى العون عبارات الشكر والتقدير *إلى* جميع أساتذة قسم التاريخ، ولكل من أمّد لنا يد العون والمساعدة من قريب أو بعيد ونخص بالذكر زميلاتي الطالبة بشرى شلية ، كما نشكر أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة مذكرتنا وتكبدهم عناء قراءتها.

إهداء

إلى من كان سندي الاول وظهري القوي إلى والدي العزيز رجم عبد القادر الذي زرع في قلبي حب العلم وغرس في روحي الصبر و الارادة أهدي ثمرة جهدي ونجاحي,، فله الفضل بعد الله فيما وصلت إليه وإلى من علمتني أن الإيمان يصنع المعجزات وأن الصبر يفتح أبواب الأمل شكرا لحبك ودعواتك التي كانت منجاتي في كل لحظة تعب أمي مسعودة خروفة.

إلى إخوتي الاعزاء أنتم العائلة التي افتخر بها و كنتم دوما العون و السند في كل مراحل حياتي

إلى صديقاتي العزيزات يا من شاركنني لحظات الضحك والبكاء

كنتن لقلبي وطنا فشكرا لوجودكن في حياتي .

و إلى أساتذتي الكرام لكم أطيب الامتنان فلولا توجيهاتكم و إخلاصكم لما كان يرى النور لهذا العلم أن يرى النور.

وبالأخص الدكتور قوسيم ، أنت قدوتي ومصدر إلهامي

فلك كل التقدير والاحترام .

رجم أميرة

إهداء

اللهم لك الحمد ولك الشكر الحمد لله على توفيقنا في إنجازنا هذه المذكرة وما التوفيق إلا من عند الله سبحانه وتعالى .

إلى العيون التي سهرت على تربيتنا، وحرصت على تعليمنا، نهدي هذا البحث إلى منبع حناننا وإلهامنا إلى والدتي ، أمي العزيزة والغالية فتيحة بوطغان.

وإلى والدي الذي قدم لي كل الدعم المادي والمعنوي أحمد بوعبد الله .

وإلى أخي الكريم حفظه الله وسيم وإلى أختى الصغرى وفقها الله و أنار دربها و درب كل البشر، وئام وإلى أخواتي إلهام ومنال .

وإلى زملائي وزميلاتي خاصة بشرى شلية وكوثر كحيل وفضيلة بوشليق وإلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل إلى كل أساتذة قسم التاريخ وإلى كل محب ومشجع للعلم .

إبتسام بوعبد الله

قائمة المختصرات

(د.ط) : دون طبعة.

(د.د.ن) : دون دار النشر.

(د.م): دون مكان.

(د.ت) : دون تاريخ.

تر : ترجمة .

تق : تقديم

تح : تحقيق

ص: صفحة

ج : جزء

ط : طبعة

م: ميلادي

هـــــ: هجري

مج : مجلد

تع : تعريب

ش.و.ن. ت : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع

الفهرس

الدعاء	
الإهداء	
الشكر والتقدير	
قائمة المختصرات	
الفهرس	
مقدمة	أ-ز
الفصل الأول : الأوضاع الإقتصادية في حاضرة تونس 7-10ه / 13-16م	
المبحث الأول :النشاط الزراعي	1
المبحث الثاني :الحرف والصناعات	13
المبحث الثالث :الحركة التجارية	25
الفصل الثاني :الأوضاع الإجتماعية في حاضرة تونس 7-10ه /13-16م	
المبحث الأول :مكونات المجتمع الحفصي	42
المبحث الثاني: مظاهر حياة المجتمع الحفصي	52
المبحث الثالث :مشاكل المجتمع الحفصي	63
الفصل الثالث :الأوضاع الثقافية في حاضرة تونس 7-10ه / 13-16 م	
المبحث الأول :عوامل إزدهار الحياة العلمية بحاضرة بني حفص	71
المبحث الثاني :المؤسسات التعليمية في العهد الحفصي	79
المبحث الثالث :أنواع العلوم وأشهر علمائها	96
الخاتمة	109
الملاحق	111
قائمة المصادر والمراجع	114

مقدمة

مقدمة :

تأسست مدينة تونس سنة 84 هـ / 703 م على يد حسان بن النعمان الغساني وقد حظيت المدينة بمكانة كبيرة وازدادت هذه المكانة حتى أصبحت مدينة تونس مركز الصدارة والريادة ، لكونها أصبحت حاضرة البلاد التونسية، ومركزا دفاعيا لمواجهة الخطر البيزنطي فوقفت أمام هجمات الأعداء في حوض البحر الأبيض المتوسط ، إذ جعل منها نقطة بداية للجيوش العربية الإسلامية لمواصلة الفتوحات الإسلامية وخاصة منها البحرية، وبذلك أصبحت المدينة معسكرا ساحليا للجيوش الإسلامية، فكانت قاعدة للأسطول العربي في شمال إفريقيا، كما أصبحت ميناءا بحرياً للقوات العربية الإسلامية وأساطيلها.

وقد قمنا باختيار هذا الموضوع الذي يتناول الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في حاضرة تونس في إطار مكاني معين يشمل حاضرة تونس في المغرب الأدنى، وإطار زماني محدد يمتد من7-10ه/13-16م فقد إمتازت هذه الفترة أن مدينة تونس كانت ثاني مدينة عربية إسلامية في المغرب العربي بعد مدينة القيروان، والتي أصبحت في يوم من الأيام مقرا وحاضرة للخلافة الإسلامية بعد سقوط الخلافة في بغداد على أيدي المغول سنة 656 خ / 1258 م.

والدولة الحفصية هي رابع دولة إسلامية بالبلاد التونسية (634-981 ه / 1237-1573م) وقد دامت 347سنة هجرية ، أسسها أبو زكريا يحيى الحفصي.

أسباب اختيار الموضوع :

ترجع إلى : عوامل ذاتية وأخرى موضوعية ، فالذاتية تتمثل في رغبتنا في إبراز الجانب الإقتصادي والاجتماعي والثقافي لحاضرة تونس، أما فيما يتعلق بالأسباب الموضوعية فهي متعلقة بأهمية البحث في دراسة هذه الجوانب .

- تركيز معظم الدراسات التاريخية على الجانب السياسي من تاريخ المنطقة على حساب الجوانب الأخرى .

أهمية الموضوع : تكمن في :

- يتناول قضية مهمة من قضايا بلاد المغرب الأدنى.
- يوضح الجوانب الاقتصادية لحاضرة تونس من خلال الزراعة والحرف والصناعات و التجارة.

– يبين الجوانب الاجتماعية لحاضرة تونس والتي تتمثل في :مكونات المجتمع التونسي ومظاهر حياته والمشاكل التي تعرض لها .

– وكذلك يوضح الموضوع الجوانب الثقافية لحاضرة تونس المتمثلة في إنشاء المؤسسات التعليمية وبروز مختلف أنواع *العلوم* وأشهر علمائها .

و بصفة عامة يعرفنا على إقتصاد و مجتمع وثقافة حاضرة تونس.

الدراسات السابقة:

لإنجاز هذا البحث اعتمدنا على مجموعة من الدراسات السابقة ومن أهم هذه الدراسات هي :

– عطا الله الدليمي، مدينة تونس دراسة في أحوالها السياسية والحضارية (296–981 هـ / 908–1572 م)، أطروحة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي وقد استفدنا منها في جميع الفصول في الجانب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

– رجم عائشة : المؤسسات العلمية في العهد الحفصي ، دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه علوم من تاريخ المغرب الإسلامي وقد استفدنا منها كثيرا من الجانب الثقافي.

الإشكالية:

بناء على ما سبق يكون التساؤل : كيف كانت الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية في حاضرة تونس خلال الفترة الممتدة بين القرنين (7-10هـ / 13-16 م)؟

وانطلاقا من هذه الإشكالية تفرعت التساؤلات التالية :

– كيف كانت الأنشطة الاقتصادية في حاضرة تونس خلال هذه الفترة ؟

– ما هي أوضاع المجتمع في حاضرة تونس؟

– وكيف تطورت الأوضاع الثقافية في حاضرة تونس؟

خطة البحث:

للإجابة عن هذه الإشكالية اتبعنا خطة بحث مكونة من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق .

الفصل الأول : جاء بعنوان الأوضاع الاقتصادية في حاضرة تونس 7–10 ه / 13–16 م ، فقد خصصناه للحديث عن النشاط الزراعي حيث تناولنا فيه أنواع المحاصيل الزراعية وتتمثل في: زراعة الحبوب وزراعة الفواكه وزراعة الزيتون و المحاصيل الأخرى ، وكذلك نظام الري ، كما تطرقنا إلى مشاكل

الزراعة .كما تعرضنا في هذا الفصل إلى الحرف والصناعات وتناولنا فيه أبرز الصناعات في حاضرة تونس وتشمل صناعة المنسوجات وصناعة الزيوت النباتية وصناعة الخزف والصناعات الجلدية والصناعات الخشبية وصناعة العطور وصناعات أخرى .

كما تحدثنا عن الحركة التجارية من أسواق وتعاملات نقدية وطرق التجارة والصادرات والواردات، وأيضا العلاقات التجارية لحاضرة تونس.

والفصل الثاني : جاء تحت عنوان الأوضاع الاجتماعية في حاضرة تونس 7-10 ه / 13-16 م ، فقد تحدثنا فيه عن مكونات المجتمع الحفصي ، من بربر وعرب المشرق والأفارقة والروم والنصارى والأندلسيون والأقباط ومسلمو صقلية، كما تعرضنا في هذا الفصل إلى مظاهر حياة المجتمع الحفصي من خلال السكن والبيوت ومياه الشرب وطعام أهل تونس والملابس والأعياد والاحتفالات، وكذلك تطرقنا إلى عادات وتقاليد المجتمع الحفصي كما تحدثنا عن مشاكل المجتمع الحفصي وتتمثل في الأوبئة والمجاعات والحروب التي تعرض اليها وعانى منها المجتمع الحفصي .

أما الفصل الثالث والأخير منه للحديث عن جاء بعنوان الأوضاع الثقافية في حاضرة تونس 7-10 ه / 13-16 م و خصّصناه للحديث عن عوامل إزدهار الحياة العلمية بحاضرة بني حفص، كما تعرضنا في هذا الفصل للمؤسسات التعليمية في العهد الحفصي التي تتمثل في الكتاتيب والمساجد والجوامع والمدارس والمكتبات التي أنشئت في العهد الحفصي من قبل الأمراء والأميرات، وبعض القادة، وكذلك العلماء، وما احتوت عليه من كتب و مخطوطات نادرة إضافة إلى ما توفره من منح لطلابها، كما تحدثنا عن أنواع العلوم وأشهر علمائها من علوم القرآن الكريم ويشمل علم القراءات وعلم التفسير وعلوم الحديث النبوي الشريف و علم الفقه والشعر والنشر والتاريخ والجغرافيا مع ذكر أشهر العلماء واهتمام الأمراء الحفصيين بهذه العلوم وإعطائهم لأصحابها عناية خاصة .

وخاتمة تتضمن مجموعة من الاستنتاجات حول موضوع البحث، كما أ رفقناه ببعض من الملاحق إحتوت بعض التوضيحات .

المنهج المتبع :

اتبعنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي وآليات التحليل والوصف للوصول إلى حقائق تاريخية حول الموضوع ، حيث اعتمدنا على المنهج التحليلي في الجانب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، أما المنهج الوصفي فقد اعتمدنا عليه في الجانب الاقتصادي من خلال وصف المحاصيل الزراعية وكذلك وصف أبرز الصناعات التي وجدت في حاضرة تونس، مع الاستعانة بالمنهج الاستنتاجي.

المصادر المعتمدة في إعداد البحث :

لكي تكون هذه الدراسة موثقة اعتمدنا على مادة علمية من مصادر التاريخ العام والتراجم، وكتب الجغرافيين الرحالة ومن أهمها :

1-كتب التاريخ العام :

- "الحبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" لعبد الرحمان بن خلدون (ت 808 ه / 1406 م) يعتبر من أهم المصادر في دراسة تاريخ المغرب الإسلامي ويتكون من سبعة أجزاء، وقد اعتمدنا على الجزء الأول المعروف بالمقدمة والذي أستفدنا منه كثيرا في تعريف التجارة، وفي مشاكل المجتمع الحفصي(الطاعون) وكذلك في أنواع العلوم إضافة إلى الجزء السادس الذي أشار فيه إلى الروم الذي يعد أحد مكونات المجتمع الحفصي.

- *الفا*رسية في مبادئ الدولة الحفصية: أحمد بن علي الخطيب بن القنفذ القسنطيني (ت 810ه/ 1408 م) هذا المصدر خاص بتاريخ الدولة الحفصية بداية من تأسيسها وينتهي إلى عهد أبي فارس عبد العزيز (797-839 ه / 1394-1435 م)، وقد استفدنا منه في المؤسسات التعليمية في العهد الحفصي حيث تحدث عن دور الحكام الحفصيين في الحركة العلمية من خلال *إنشاء المدارس و* المكتبات وتشجيع العلم والعلماء، كما استفدنا منه في جانب العلوم خاصة علم التاريخ.

- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية : محمد بن إبراهيم الزركشي (ت 894 ه / 1488 م) هذا الكتاب يحتوي على معلومات قيمة ودقيقة على دولتي الموحدين والحفصيين، ويعتبر هذا الكتاب من المصادر المهمة، فلقد أ مدنا بمعلومات مهمة عن مشاكل المجتمع الحفصي .كما أفادنا بمعلومات قيمة حول جوانب أخرى .

- كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس : محمد بن أبي القاسم الرعيني المعروف بابن أبي دينار القيرواني (ت 1110 ه / 1698 م) بعد مصدراً مهما ، لأنه أمرنا بمعلومات مهمة حول الجانب الإقتصادي ، وأيضا حول مظاهر حياة المجتمع الحفصي من خلال لباس أهل تونس وكذلك الاحتفالات الدينية التي تقام في تونس، كما أمرنا كذلك بمعلومات قيمة حول الجانب الثقافي.

- *كتاب* إفريقيا ج 3 : لمارمول كربخال وقد قام بترجمته محمد حجي وآخرون يعد من أهم الكتب في تاريخ إفريقيا، فقد أمدنا بمعلومات كثيرة من ناحية الجانب الإقتصادي والاجتماعي لحاضرة تونس.

2- كتب السير و التراجم:

- *نيل* الابتهاج بتطريز الديباج : *لأقيت* بن أحمد يعرف بابا التنبكتي (1036 ه / 1627 م) ، هذا المصدر من المصادر المهمة لأنه إحتوى على تراجم لعلماء المذهب المالكي، حيث أفادنا في ترجمة لعالم من علماء التفسير هو ابن بزيزة عبد العزيز ين إبراهيم التميمي (ت 662 ه)

- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية: لأحمد بن حنبل الغبريني(ت 704 ه / 1304م) ، والمصدر عبارة عن تراجم لعلماء بجاية حيث ضم108 ترجمة من رجال العلم والدين والتصوف والأدب في القرن7 ه / 13 م ، وقد أستفدنا فيه في الجانب الثقافي. إذ أمدنا بمعلومات *كثيرة* ومهمة عن أعلام تونس برزوا في عدة علوم.

3 -كتب التربية الإسلامية والنوازل:

- كتاب أداب المعلمين : لمحمد بن سحنون بن سعيد التنوفي (ت 240 ه / 855 م) يعتبر من أهم المصادر التاريخية التي تبحث *في* شؤون التعليم التي تتعلق بالصبيان الذين يبدأ تعليمهم الأولي في الكتاتيب، وقد أستفدنا منه في أنواع العلوم من خلال الشروط التي وضعها سحنون للمؤدبين في تعليم الصبيان .

- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب : لأحمد بن يحي الونشريسي(ت 914ه / 1508 م) ، يعد هذا المصدر من أبرز الكتب في الفقه المالكي، حيث قدم لنا فتاوى العلماء وفقهاء المغرب أفادتنا كثيرا في الجانب الاقتصادي، وأيضا في الجانب الإجتماعي من خلال الجزء 2 و ج 5 و ج 6 و ج 8 و ج 10 من كتاب الونشريسي .

4- كتب الرحلات:

- الرحلة : للعبدري البلنسي المتوفي في أواخر القرن(7 ه /13م) ، المسماة كذلك برحلة العبدري حيث وصف في رحلته الآثار القديمة والأماكن المختلفة في مدن المغرب الإسلامي التي مر بها، كما أشار في رحلته هذه إلى تراجم لكثير من العلماء والأدباء وقد أفادنا في كثيرا في الجانب الاقتصادي، وكذلك الجانب الإجتماعي، والثقافي من خلال ذكر اعلام برزوا في عدة علوم

- كتاب الرحلة *التيجاني* أبو محمد عبدالله: (721 ه / 1321 م) اشتمل هذا المصدر على مادة تاريخية غزيرة ومتنوعة، وقد أفادنا في النشاط الزراعي، وكذلك في مكونات المجتمع هـــ - الحصاد الجغرافية - .المسالك واكمال : الخفجي حيث أنه تحدث عن الأقباط، وكذلك في الجانب الثقافي حيث ترجم لبعض الأعلام .

5 - المصادر الجغرافية :

- المسالك والممالك : لأبي عبيد الله البكري (ت 487 ه) ، الجزء2 ، وقد أفادنا في أنواع المحاصيل الزراعية ، حيث وصف لنا تونس بأنها توجد فيها الكثير من الفواكه الطبيبة ، كما تحدث عن صناعة الخزف بأن هناك أواني للماء تصنع من الخزف .

- وصف إفريقيا : لحسن الوزان، وبعد من أبرز الكتب المهمة في الجغرافيا وكذلك في تاريخ إفريقيا حيث أفادنا بمعلومات غزيرة ودقيقة حول الجانب الاقتصادي وكذلك في مكونات المجتمع الحفصي ومظاهر حياته. - الجغرافيا لزهري بن أبي بكر محمد: ويعد كذلك من الكتب المهمة في الجغرافيا، حيث أفادنا في الحديث عن استيراد تونس من جزيرة صقلية الحاجيات الكمالية، كما تحدث عن طعام أهل تونس .

الصعوبات:

و ما من باحث في التاريخ إلا وتعترضه صعوبات و من أهم الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث:

- التشابة والتداخل في المعلومات مما صعب علينا التحكم في المادة العلمية .

- فقر المكتبة الجامعية من المادة التاريخية الخاصة بموضوعنا.

- عدم الحصول على المصادر المهمة التي لا تتوفر بصيغة PDF.

الشكر والتقدير :

وفي الأخير نتقدم بفائق الشكر والتقدير لكل من ساعدنا في إنجاز هذه المذكرة سواء من قريب أو من بعيد، ونتمنى أن نكون قد وفقنا في إنجازها .

الفصل الأول

الأوضاع الاقتصادية في حاضرة تونس

(7-10هـ/ 13-16م)

مقدمة:

يشمل النشاط الاقتصادي ميادين الزراعة والصناعة والتجارة، ففي ميدان الزراعة أقبل سكان تونس على الزراعة ، واعتنوا بأمرها حيث ظهرت العديد من المحاصيل الزراعية . وفي ميدان الصناعة انتشرت الصناعات بحاضرة تونس و بمختلف المدن و أهمها: صناعة المنسوجات وصناعة الزيوت النباتية وصناعة الخزف وغيرها من الصناعات. أما في الميدان الثالث وهو ميدان التجارة حيث وجدت العديد من الأسواق بالحاضرة وبمختلف المدن ومنها سوق الشماعين وسوق الحدادين وغيرها.

المبحث الأول: النشاط الزراعي.

أولا: تعريف الزراعة.

يعرف ابن خلدون الزراعة بأنها: (النظر في النبات من حيث تنميته، ونشوءه بالسقي والعلاج، وتعهده بمثل ذلك، وكان للمتقدمين بها عناية كثيرة)[1].

والأسئلة المطروحة ما هي أنواع المحاصيل الزراعية في حاضرة تونس 7-10ه /13-16م؟

وما هي مشاكل الزراعة؟

ثانيا: أنواع المحاصيل الزراعية.

كان اقتصاد البلاد يرتكز على الزراعة وتربية الماشية، وقد ساعد اتساع نطاق حياة الترحل الناتج عن الغزوة الهلالية على تعويض زراعة الأرض بتربية الماشية في مناطق واسعة من البلاد، كما كان الصيد يمثل مواردها من موارد الرزق، حيث كان في السواحل يعتمد على اصطياد الأسماك ومن بينها: التن، وأيضا اصطياد المرجان في السواحل الشمالية والاسفنج والخزف في عرض سواحل صفاقس[2].

---

[1] – ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، تح وتع: عبد الله محمد الدرويش، ج1، دار يعرب، دمشق، 1425ه/2004م، ص92.

[2] – برنشفيك روبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، نقله إلى الحرية: حمادي الساحلي، الجزء2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص457.

ويرتبط التطور الاقتصادي بالاضطرابات السياسية التي في البلاد، إذ عمت الاضطرابات السياسية والفوضى منطقة الشمال الإفريقي، ولا سيما تونس وقد أثر هذا كثيرا على النشاط الاقتصادي كله وخاصة الزراعة، إذ تقدمت ولم تسلم من النهب والسلب[1]، ونشأ بأرض إفريقية ما نشا من الفساد[2].

وامتدت الزراعات أثناء فترات توفر الأمن القصيرة المدى، حيث كان الشعير يمثل أكثر الحبوب استهلاكا، كان موجودا في كل مكان، أما القمح كان مزدهر على وجه الخصوص في منطقتين قسنطينة وعنابة، وفي سهل باجة وماطر، متوفر الإنتاج[3].

ويعمل أغلب سكان الحاضرة تونس في الزراعة التي تعتبر المصدر الأساسي بالنسبة لهم، أما الناس الذين لا يملكون الأراضي الزراعية، فقد كانوا يحملون في أراضي غيرهم، بالإضافة إلى ذلك منهم من كان يقوم بحراسة أشجار الزيتون في الليل والنهار[4]، وأن حاضرة تونس (لو اتفق أن يكون بها ماء جار، لكانت معدومة النظير شرقا وغربا)[5].

حيث كانت معظم الأراضي وخاصة أراضي المدن، مستثمرة من طرف الحضر على شكل إقطاعات، وعلى شكل أملاك خاصة[6].

---

[1] – الدليمي، منذر عطا الله، مدينة تونس، دراسة في أحوالها السياسية والحضالرية (296– 981ه/ 908–1572م)، إشراف: بديع محمد، أطروحة نيل درجة الدكتوراه، فلسفة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ كلية الآداب، جامعة الأنبار، 1436ه/ 2015م، ص118.

[2] – التجاني بن محمد عبد الله، الرحلة، تق: حسن عبد الوهاب، (د ط)، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981، ص16.

[3] – روبار برنشفيك، المرجع نالسابق، ص457–458.

[4] – الدليمي، منذر عطا الله، المرجع السابق، ص119.

[5] – العبدري بن محمد، الرحلة، تح وتق: علي إبراهيم كروي، ط2، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1426ه/2005م، ص110.

[6] – الدولاتلي عبد العزيز، مدينة تونس في العهد الحفصي، محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي، (د ط)، دار سبرايس للنشر، تونس، 1981، ص72.

ومن انواع المحاصيل الزراعية في حاضرة تونس، زراعة الحبوب، حيث تعتبر زراعة الحبوب وخاصة القمح والشعير، من الزراعات القديمة في شمال إفريقيا، وتشتهر حاضرة تونس بزراعة الشعير، ولكثرة إنتاجه تم تخصيص سوق بالحاضرة يباع فيه دقيق الشعير، ويحيط بها مزارع للشعير وهي تعد أكبر غلاتها[1].

ويجلب سكان حاضرة تونس القمح من المناطق البعيدة بأسعار غالية، حيث كان لا يوجد القمح في أراضيهم بسبب قلة نشاط السكان لأعمال الفلاحة، بالإضافة إلى ذلك كانوا يزرعون في الأراضي المجاورة لهم، ولا يبعدون عنها، خوفا من عدم استقرار الأمن في البلاد في تلك الفترة السائدة. وكذلك لا يستثمرون بضواحي الحاضرة غير حدائق تسقى بالنواعير[2].

توجد بجوار حاضرة تونس[3]جنان واسعة، فيها الكثير من الفواكه والثمار اللذيذة، ومجموعة من ثمار البرتقال والليمون، وكان الزراع في حدائق الأمير يتعهدها بالعناية[4].

وصف البكري تونس بأنها توجد فيها الكثير من الفواكه، تزرع في الحاضرة بقوله[5](وحاضرة تونس من أشرف مدائن إفريقيا، وأطيبها ثمرة وأنفسها فاكهة، فمن ذلك: اللوز الفريك .. مع طيب المضغة وعظم الحبة، والرمان الضعيف ... مع صدق الحلاوة وكثرة المائية والأترج الجليل الطيب الطعم، الزكي الرائحة، البديع المنظر والتين الخارمي، أسود كبر رقيق القشر، كثير العسل ... والسفرجل المتناهي كبرا وطيب وعطرا والعناب الرفيع في قدر الجوز)[6].

---

[1] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص119–120.

[2] – كربخال مارمول، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج3، (د ط)، دار لنشر المعرفة، الرباط، 1408– 1409ه/ 1988– 1989م، ص21.

[3] – كربخال مارمول، المصدر السابق، ج3، ص23.

[4] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص120.

[5] البكري بن عبد العزيز عبد الله، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، الجزاء 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424ه/ 2003م، ص 210–211.

[6] –

في حين يذكر ابن فضل الله العمري تشتهر حاضرة تونس بنوع آخر من الفواكه يسمى المصغ، وهو يشبه في طعمه السفرجل، ويوجد في فصل الشتاء، كما يزرع في ضواحي الحاضرة الكروم، وتوجد خارج الحاضرة ممتلكات تنتج فواكه قليلة لكنها ذات جودة، كما توجد مجموعة من البساتين مغروسة بالبرتقال والليمون[1].

وقد أحدث سكان تونس بالحاضرة الكروم، والبساتين والغروس، حتى وصل ذلك إلى النهاية التي لا توجد في غيرها، وبين تونس ومرساها بحيرة يقال: (إنها كانت منذ مائتي سنة أرضا كثيرة الجنات والمياه والزرع طيبة الفواكه)[2].

ومن اهم محاصيل البلاد الزيتون إذ يعتبر دخلا كبيرا وخاصة لأهل حاضرة تونس، وقد استمر الناس خلال العصر الوسيط، بزراعة الزيتون في السهول الساحلية[3]، وقد كان يحيط بحاضرة تونس على مسافة أربعة أميال حتى ستة أميال.

مجموعة من البساتين تنتج كميات كبيرة من الزيت[4]، لا تزود تونس فحسب، بل تصدر أيضا إلى مصر[5].

وتحيط بالحاضرة فرسخان مساحة غرست بأشجار الزيتون، الذي يستخرج منها الزيت بكميات كبيرة، ما يحمل منه للبيع في جهات قد تصل إلى مصر[6].

---

[1] – العمري بن يجين شهاب الدين، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: حمزة أحمد عباس، ج4، (د ط)، المجمع الثقافي أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2002، ص87-88.

[2] – الحميري بن عبد المنعم محمد، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص143.

[3] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص122.

[4] – ليون الإفريقي، الوزان حسن، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402ه/ 1982م، ص77.

[5] ليون الإفريقي حسن، المصدر نفسه، ص77.

[6] – كربحال مارمول، المصدر السابق، ج3، ص23.

وكان يطلق على الزيتون الذي يزرع في حاضرة تونس الزيتون المعمري، وقد ظهرت بعض الأمراض أثرت على الإنتاج الزراعي، فكانت أشجار الزيتون في حاضرة تونس، تتعرض بالمن أو ماء المطر في الصيف، بالإضافة إلى ان الزيتون يستعمل في الأغذية، ويعد أساس الصناعات المشتقة من الزيت، وصناعة الصابون وزيت التجميل[1].

وقد جاء في إحدى نوازل الونشريسي أنه سئل عن الدور عندما يكون في الزيتون، ولا يمكن نخليه منه، هل يعصر بدودة ام لا؟ وكيف إن أمكن تخليصه لكن بمشقة كبيرة؟ وهل يصنع أكل الشهد ام لا؟ فأجاب: (ظاهر الروايات عندي دود الطعام كغيره، فلا يعصر ما ذكر إلا بعد إزالته)[2].

تونس الخضراء، سميت بهذا الاسم لكثرة زيتونها، والزيتون أخضر طول الزمان وهو الشجرة المباركة، وكذلك لكثرة خيراتها عن غيرها وسعة أرزاقها، وقد يقال لمن هم في سعة من الزرق خضر المرابع، فلذلك عبر عنها بالخضراء[3].

كما اشتهرت حاضرة تونس بزراعة المحاصيل الزراعية الأخرى منها: القنب والكرويا والعصفر، وأيضا من غلاتها القطن[4].

إذ يحمل إلى القيروان للإنتفاع به، وأيضا القنب والكرويا والعصفر، والعسل والسمن والحبوب والزيت، كما تختص بالكثير من الماشية[5].

---

[1] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص123.

[2] – الونشريسي، بن يحي أحمد، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي، ج2، (د ط)، الغرب الإسلامي، بيروت، ص24.

[3] – ابن أبي دينار، الرعيني محمد، المؤنس في أخبار إفريقية، وتنوس مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، 1286، ص9-10.

[4] الدليمي منذ عطا الله، المرجع السابق، ص123-124.

[5] – ابن حوقل، بن حوقل القاسم، صورة الأرض، (د ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996، ص75.

وقد استفادت البساتين من مهارة المهاجرين الأندلسيين وخاصة في ضواحي حاضرة تونس، وكان الكتان والقنب يوفران بعض الأنسجة، كما كانت نباتات عطورية ونباتات صبغية، تنبت بشكل طبيعي، وأيضا من بين النباتات الطبيعية توجد بعض الأعشاب الصالحة لعلف الحيوانات وخاصة الماشية، وقد تم تخفيض مساحة الأراضي المخصصة لزراعة الكروم، أما الصبار فإنه لم يوجد في البلاد المغربية، ومن بين المواد المعدنية الكثير من الملح، والقليل من الرصاص والعديد[1].

تعددت مصادر المياه في شمال إفريقيا، لتشمل مياه الأمطار والعيون والآبار والصهاريج، وكان سكان حاضرة تونس يستعملون مياه الآبار في سقي الأراضي الزراعية، وفي العصر الوسيط انتشر استخدام الساقية في أغلب جهات المغرب الإسلامي[2].

ويتبين من خلال النوازل والفتاوى الفقهية أن مصادر سقاية الأرض في بلاد المغرب هي: الأمطار والآبار والأودية والصهاريج[3].

من خلال فتاوى الونشريسي حول مشكلة قسمة الماء الهابط على الوادي، وأيضا كان النزاع حول كيفية توزيع الماء الذي لا مالك له كماء السيول[4].

وتتميز حاضرة تونس بكثرة جناتها ومياهها، وبالزرع وطيبة فواكهها، حيث غلب عليها ماء البحر[5].

---

[1] – روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص458.

[2] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص124.

[3] أبو مصطفى كمال، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المغرب للونشريسي، (د ط)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996، ص57.

[4] الونشريسي أحمد، المصدر السابق، ج5، ص 12–13.

[5] – مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب، نشر وتح: سعد زغلول عبد الحميد، (د ط)، دار الشؤون الثقافية العامة، الكويت، 1985، ص120.

وفي عهد السلطان الحفصي المستنصر (647 – 675 هـ / 1249–1277م)، تم ترميم وإصلاح حنايا ماء زغوان 666هـ/ 1267م، حيث كانت تحمل ماء زغوان جنوب تونس إلى قرطاجنة، وتمكن السلطان الحفصي بذلك من إيصال ماء زغوان إلى بستان أبي فهر[1].

فقد استأثر بها قصر السلطان وجنانه، وسرب منها ما تبقى إلى ساقية جامع الزيتونة، عبر أنابيب من رصاص، كما استقى منها من ليس لديه ماء إذ كثر عليها الناس[2]. ويذكر الونشريسي أن من عادة المغرب أن الماء الذي سقي به القوم أراضيهم[3]، (إذا كان متملكا لهم فهو بينهم على الحظوظ التي يملكونها، لأن من تملك حظا من ماء فهو مال من أمواله، وإذا كان الماء المذكور غير متملك وإنما هو من ماء الأودية التي لا ملك لأحد عليها وحكمة أن يسقى به الأعلى فالأعلى لاحق فيه للأسفل حتى يسقى الأعلى ...)[4].

وفي ميدان الفلاحة، عني الأمراء بإنشاء البساتين الجميلة وأنشأ السكان الجنان بمنتزهاتهم، كما اعتمد سكان الأرياف على الفلاحة، واهتموا بأمرها، حتى وصلت إلى مرحلة التقدم والرقي، على الرغم من الحوادث التي عاشها السكان وتعدد الثورات، حيث قاموا بغراسة أشجار الزيتون وزراعة الحبوب، وتربية المواشي واستثمار النحل، وتربية الدواجن بأنواعها، كما ازدهر الصيد البحري[5]. وقد عجز بن أبي دينار عن وصف تونس من خلال خيراتها وكثرة بساتينها وجناتها، وأشهد بالله أنه: (يوجد ما لا يوجد في غيرها كثرة وحسنا)[6].

---

[1] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص125.

[2] – العبدري محمد، المصدر السابق، ص110.

[3] – أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص59.

[4] الونشريسي أحمد، المصدر السابق، ج10، ص274.

[5] – بن عامر أحمد، الدولة الحفصية، (د ط)، دار الكتب الشرقية، تونس، 1392ه/ 1972م، ص98.

[6] – ابن أبي دينار محمد، المصدر السابق، ص9–10.

كما أعجب أحمد بن عامر بجنان تونس، في قوله (فرأيت هذا الجنان في غاية الإتقان والحسن)[1].

وذكر أحمد بن عامر: ان في خارج حاضرة تونس، توجد حدائق فائقة الجمال لا يقل عددها عن أربعة آلاف حديقة، وتتضوع من تلك البساتين روائح من شتى أنواع الأزهار، كما أنها توجد أنواع كثيرة من الأشجار المثمرة[2].

وتستغل الأراضي الزراعية في إقليم المغرب الأدنى (إفريقية) في زمن الدولة الحفصية بطرق مختلفة وهي: أرض الجزاء وأرض السقا، وأرض الأحباس وأرض الحكر، وأرض الظهير.

أراضي الظهير هي: الأراضي الغير مستصلحة، والتي تمنح من قبل السلطان في ضواحي المدن الكبيرة والأرياف إلى العامة، من قبائل الأعراب الرحل الذين يؤجرونها إلى السكان المستقرين بها، من البربر والأندلسيين واليهود، حيث يؤخذ منهم ما تنتجه هذه الأراضي من محاصيل زراعية بعلية، ومن إنتاج الثروة الحيوانية بها[3].

أراضي السقا: هي الأراضي التي يمنحها السلطان لعامة الفلاحين الذي لا يملكون أرض زراعية، بنظام وثائق عقود سلطانية تبرم مع هؤلاء الفلاحين لمدة زمنية معينة، سميت بهذا الاسم لأنها تسقى من سقايات المدن دائمة الجريان.

أراضي الأحباس: هي الأراضي التي تنازل عنها السلطان لفائدة الفقراء والمشاريع الخيرية والدينية، من أجل الانتفاع بها.

---

[1] بن عامر أحمد، المرجع السابق، ص138.

[2] المرجع نفسه، ص141.

[3] – بكار العرفي فرحات، الأنشطة الاقتصادية في مدينة تونس خلال العهد الحفصي في الفترة الزمنية الممتدة ما بين القرنين (7-10ه/ 13-16م)، مجلة كلية الآداب، جامعة بنغازي، (د ت)، ص31-32.

ويعتمد استصلاح الأراضي الزراعية في العهد الحفصي على طرق متعددة، من الاستزراع وإدارة الأراضي وتوزيع المحصول، وهذه الطرق هي: المزارعة والمغارسة والمساقات[1].

نظام المزارعة: وهو أن يسلم شخص الأرض والبذور والنقر لشخص آخر يلتزم بالعمل، وذلك بأن يكون له نصيب معين من محصول الأرض متفق عليه في العقد، كما وجد نظام المغارسة: وهو يشبه نظام المزارعة، غير أنه يكون في الأرض التي تزرع بالغراسة[2].

وجاء في إحدى نوازل الونشريسي أن: الحكم على من أخرج الأرض والبذر والقر، وأخرج الآخر العمل، على أن يكون له الربع وللآخر الثلاثة الأرباع، وهل تجوز ام لا؟ فأجاب على ذلك: (أن مسألة الشركة هذه على ثلاثة أوجه إما ان يعقداها بلفظ الشركة فيجوز أو بلفظ الإجارة فلا يجوز، وإن لم يسميا شركة ولا إجارة ويقول أدفع إليك أرضي وبقري وبذري، وأنت تولى العمل وتحوه، ويكون له الربع أو الخمس أو نحوه فحمله ابن القاسم على الإجارة فلم يجزه، وحمله سحنون على الشركة فأجازه، وإلى الأول ذهب ابن حبيب هذا تحميلها عندي، ومن أدركت من الشيوخ لا يحصولنها ويكون الخلاف إجمالا وليس بصحيح انتهى[3].

ويطكر الونشريسي أم إذا اشتركا رجلين في الزرع في بلد فجرت كل واحد منهما في بلدة ويشارك صاحبه في الحرث (أن الشركة فاسدة، ولكل واحد منهما ما زرع دون شريكه)[4].

وكانت اهم موارد الدولة تتمثل في أملاك السلطان الخاصة والضرائب الموظفة على الأراضي الزراعية وهي: الخراج الذي فرض من قبل الموحدون[5].

---

[1] – بكار العرفي فرحات، المرجع السابق، ص32–33.

[2] – أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص65.

[3] – الونشريسي أحمد، المصدر السابق، ج8، ص152.

[4] – المصدر نفسه، ص137.

[5] – الهادي الشريف محمد، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993م، ص56.

كما فرضت الدولة ضرائب على الفلاحين المستصلحين للأراضي الزراعية، وقد قسم البرزلي الأراضي الزراعية إلى أربعة أقسام وهي ضريبة العشر، وتفرض على أراضي الظهير وهي نفسها عشر الزكاة وضريبة الجزاء، تفرض على أراضي الجزاء، وأراضي الحكر والأحباس كذلك تفرض على أراضي السقا[1].

إن المجال الزراعي الحيوي للحاضرة، ازداد تقلصا بداية من القرن الثامن الهجري لزيادة الأزمة الاقتصادية، ففي النصف الثاني من هذا القرن، حيث انتشر الطاعون الجارف والجوع الشديد، لجأ البدو إلى التضييق على السكان الحضر والسلطان[2].

وأشارت النوازل إلى العديد من الجوائح التي قد تعرض المحاصيل الزراعية في المغرب ومنها: السيول والجفاف والقحط، وكذلك البرد الشديد، زيادة على ذلك الآفات والحشرات الضارة وأخطرها الجراد[3].

وقد جاء في إحدى نوازل الونشريسي أنه سئل عن الزرع، إذا أصابه الضر وهو رفيع، ثم أصابه بعد ذلك القحظ، فهل يلزم على الزارع الكواء؟ فأجاب: الونشريسي على ذلك (إذا توالى القحطتن علم أن الزرع لو سلم من الصر لأهكله القحط، فالكراء عنه ساقط)[4].

وفي نهاية العصر الوسيط، ازدادت هجومات البدو من الجنوب، مما أدى إلى خروج السلطان مرتين كل سنة، مرة لتأمين الحراثة وزراعة الحبوب، ومرة أخرى للحصاد في فصل الصيف[5].

---

[1] – بكار العرفي فرحات، المرجع السابق، ص34-35

[2] – حسن محمد، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، ج1، (د ط)، جامعة تونس الأولى (د م ن)، 1999، ص191.

[3] – أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص64.

[4] – الونشريسي أحمد، المصدر السابق، ج8، ص165.

[5] – حسن محمد، المرجع السابق، ص192.

إذن يمكن القول أن حاضرة تونس ازدهرت في المجال الزراعي، فكانت زراعتها عامرة من كل أصناف المرزعات والفواكه، وفي المقابل تعرض النشاط الزراعي إلى العديد من المشاكل .

سادسا: مشاكل الزراعة

عرف النشاط الزراعي في إفريقيا في العهد الحفصي العديد من المشاكل من أهمها:

-تميزت الوضعية العقارية للأراضي الزراعية بالغموض وتنوع ملكيتها مما تدخل أبرز فقهاء المالكية إفريقيا لمحاولة حل هذه المسألة بالحلول الشرعية حيث أن معظم الأراضي كانت ملك لخزينة الدولة، مما جعل السلاطين يقطعون الكثير منها لعامة الناس وبعض الفئات في المجتمع دون رقابة، أدى ذلك إلى إهمال الكثير منها.

-صعوبة إثبات ملكية الأراضي الخاصة عن طريق عقود الملكية أو رسوم الحز لأــن هذه العقود فيها عدة عيوب شرعية.

-انتشار نظام شركة الملك، وغياب أصحاب الأراضي المشتركة، مما نتج إهمال الكثير منها وتحويلها إلى أراضي بورو بياضي[1]، وقد جاء في احدى نوازل الونشريس أنه إذا طلب أحد الشريكين قسمة مشاع وتغيب الشريك عمدا (أمر القاضي بالقسم عليه ووكل له من يقبض نصيبه.)[2]

-رغم المساهمة الإيجابية لأراضي الأحباس فإن الكثير من الأراضي الزراعية أهملت بسبب الشروط المجحفة التي وضعها المحبسين للاستفادة منها أو لغياب من يقوم عليها.

-فرضت الدولة الحفصية العديد من الضرائب المالية التعسفية على الأراضي الزراعية، حيث كانت هذه الضرائب عبئا ثقيلا على كاهل الفلاحين.

---

[1] حادة حافظ، الحياة الاقتصادية الإفريقية في العهد الحفصي من خلال نوازل البرازلي والونشريسي وكتب الحبسة، مجلة علمية محكمة، العدد السابع، جامعة الزيتونة، تونس، 2009، ص504.

[2] الونشريسي أحمد، المصدر السابق، ج8، ص127.

-تنوع استغلال الأراضي الفلاحية حيث استغل الجزء الأــكبر منها في مجال زراعة الحبوب وغراسة مختلف الأشجار المثمرة.

-كانت مسألة الري من أبرز مشاكل السكان بإفريقيا نتيجة قلة الأمطار بها وطول الجفاف وبالرغم من انتشار بعض المصادر الطبيعية للمياه فنظام الري في العهد الحفصي لم يعرف تطورا، بل حافظ على نفس الأدوات والأساليب المتبعة في العصور السابقة.

-تنوع الإنتاج الفلاحي في المجال النباتي والحيواني، فقد شمل الإنتاج النباتي أساسا الزراعات الكبرى مثل: زراعة الحبوب والأشجار المثمرة حيث تعرض هذا الإنتاج إلى العديد من الجوائح البشرية مثل: اللصوص والأعراب، أو مختلف الآفات الطبيعية، أما الإنتاج الحيواني فقد شمل الماشية والدواجن والحمام والنحل، كما احترف الكثير من السكان خاصة سكان السواحل مهنة الصيد البحري.

ظهور العديد من علاقات الإنتاج والأنظمة التعاقدية الفلاحية مثل: تأسيس الشركات الفلاحية وانتشار نظام الخماسية الذي كان أنداك من أوسع الأنظمة التعاقدية انتشارا وتعقيدا.[1]

وسأــل الونشريسي عن مسألة الخماس فأجاب: "أما الخماس فلا يجوز إلا إذا كان بمعنى الشركة، وتكون قيمة عمله بقدر الجزء الذي له، ويكون له وعليه من جميع ما يتعلق بالشركة جزؤه، فذلك جائز وله حينئذ حظه من كل ما يكون في الزرع دون شريكه والمستعمل منه اليوم بين الناس غالبا مالا يجوز لكونه أجر نفسه بشيء مجهول."[2]

إذن يمكن القول إنه تمكنت الدولة الحفصية التي تزامن ميلادها مع بداية القرن 7ه/13م، من بسط نفوذها السياسي على كامل افريقيا لمدة زمنية تزيد عن ثلاثة قرون ونصف، عاشت أثناءها البلاد أزهى أيامها، حيث عرفت نهضة حضارية حقيقية وقد مس هذا التطور الجانب الاقتصادي لا سيما النشاط الفلاحي والنشاط التجاري وكذلك الصناعي.

[1] حادة حافظ، المرجع نفسه، ص504، 505، 506.

[2] الونشريسي أحمد، المصدر نفسه، ج8، ص150.

المبحث الثاني: الحرف والصناعات.

يرتبط الازدهار الاقتصادي للتبادل التجاري الداخلي بالأسواق، بفضل ازدهار النشاط الحرفي والصناعي، ونتج عن ذلك: ظهور صناعات في الحاضرة لبت احتياجات السكان من السلع التي انتشرت في أسواق تونس، وكانت الصناعات الثمينة والأنظف مثل: الخياطة، وصياغة الذهب، والفضة، ونسيج الحرير، وصناعة مختلف أنواع العطور وغيرها، تتمركز حول الجامع الأعظم، وفي وسط الحاضرة توجد الجلود وصباغتها، ونتانة الدباغة، ومطاحين الدقيق، وصانعي الأدوات الجلدية وغيرها[1].

وقد انتشرت الصناعات بحاضرة تونس وبعدة مدن ومنها صناعة حياكة الصوف وصبغه، وصناعتا دباغة الجلد ونقشه، وزخرفته، وصناعتا عصر الزيتون وصنع الصابون، وصناعة ضفر الحلفاء، وصناعة الخشب ونقشه الذي يصنع منه الأثاث وغيرها، وصناعة ضفر البناء، وصناعتا الفخار والحديد بالإضافة إلى صناعة الجليز بإحداث تزويقات فيه[2].

وتقسم الحرف والصناعات إلى حرف وصناعات بسيطة توفر الاحتياجات الضرورية اللازمة للسكان مثل: الحدادة والخياطة والحرف والصناعات المركبة التي توفر الكماليات وتحقق الترف مثل: صناعة الحرير والعطور بأنواعها وتنشر هذه الصناعة في المدن المزدهرة عمرانيا[3].

والأسئلة المطروحة ما هي أبرز الصناعات في حاضرة تونس؟

---

[1] – بكار العرافي فرحات، المرجع السابق، ص35.

[2] – بن عامر أحمد، المرجع السابق، ص97.

[3] – بكار العرفي فرحات، المرجع نفسه، ص35.

ومن اهم الصناعات في حاضرة تونس صناعة المنسوجات حيث تعد من اهم الصناعات الكبرى في أي حاضرة، وقد انتشرت في حاضرة تونس لتلبية حاجيات السكان من المنسوجات، وتعتمد هذه الصناعة على الثروة الحيوانية[1].

وقال حسن الوزان: (يضعون فيها كمية عظيمة من القماش البالغ حد الإتقان، يباع في إفريقيا كلها بأثمان باهظة، لأنه رفيع ومتين)[2].

احتضنت أسواق تونس كل أنواع الأنشطة الصناعية التي توجد في المدن الكبرى، كما زادهرت الصناعات الرفيعة كالنسيج والجلد، تحتل عدة أماكن، فتونس تختص بنوع جيد يعرف بالإفريقي، ينسج من القطن والكتان أو من الكتان وحده، ويستعمل للباس كما نجد بتونس نوعا آخر من النسيج يستعمل لثياب كبار القوم، ويتكون من الحرير والقطن، او من الحرير والصوف الأبيض، أو الملون ويسمى السفساري[3].

فالحنيفة المستنصر بالله (647–675ه/ 1249–1277م)، عندما تولى الحكم أمر بتأسيس مصانع للنسيج، وخاصة للأقمشة الحريرية[4].

وفي نفس هذا الكلام يذكر القلقشندي (وبإفريقية يعمل القماش الإفريقي، وهو ثياب من القطن والكتاب معا، ومن الكتان وحده، وهو أمتع من النصافي البغدادي وأحسن، ومنه جل كساوي أهل المغرب)[5].

---

[1] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص126.

[2] – ليون الإفريقي حسن، المصدر السابق، ج2، ص74.

[3] – الدولاتلي عبد العزيز، المرجع السابق، ص67–68.

[4] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص126.

[5] – القلقشندي أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، ج5، (د ط)، المطبعة الأميرية، بالقاهرة، 1333ه/1915م، ص102.

كان معظم سكان تونس نساجون يصنعون كمية كبيرة من القماش بإتقان ، ويباع في إفريقية بأثمان غالية لأنه رفيع ومتين، أما النساء كان يتقن الغزل فيتكون الخيط من نقل المغزل ويكون جيد الإنبساط والقتل منظم الغلظ[1].

كان للمرأة التونسية دور كبير في حرفة النسيج والغزل، حيث يقول أحد المؤرخين: (والنساء يتقن الغزل غاية الإتقان)[2]، وأصبحت صناعة المنسوجات من الصناعات المهمة، وقد اشتهرت حاضرة تونس بالإنتاج الفاخر من الأبسطة والأقمشة الرفيعة[3].

ولباس الأفارقة كانت الجبة لباس الرجال الأكثر انتشارا وتصنع من الصوف والحرير، اما التي تنسج من الصوف فحسب فهي لباس الطبقات السفلى وبينما الطبقات العليا ترتدي الجبة التي تصنع من الملف الأروبي، ولكن اللباس الذي تشتهر به إفريقية هو البرنس، وهو عبارة عن معطف يتصل بقباء، يمتاز به السلاطين في القرنين 9 و10ه بكونه القرمزي، أما العمامة فحسب طريقة وضعها، تدل على وظيفة الشخص وأصله ومكانته في المجتمع[4].

أغلب سكان حاضرة تونس يشتغلون بالحرف اليدوية، ومن بينهم: مجموعة من الحياكين يصنعون منسوجات ذات جودة في إفريقية، حيث كانت تصنع فيب تونس العمامات التي سميت بالعمامات التونسية وقد اشتهرت كثيرا عند مسلمي إفريقية[5].

وفضلا عن منسوجات الملابس، توجد بتونس أنواع أخرى من النسيج وأشهرها الإطية المخعروفة بالخبلى التي تصنع في ستور وعنابة، فتجهيز الصوف وغزله، ونسج القلنسوات، وتطريز الثياب وعمل السجاد والزرابي، كلها مهن حضرية خاصة بالنساء[6].

---

[1] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص127.

[2] – ليون الإفريقي حسن، المصدر السابق، ج2، ص74.

[3] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص127.

[4] – الدولاتلي عبد العزيز، المرجع السابق، ص68-69.

[5] – كربخال مارمول، المصدر السابق، ج3، ص21.

[6] – الدولاتلي عبد العزيز، المرجع نفسه، ص68.

ونستنتج أيضا من بعض نوازل الونشريسي، أن بعض الصناعات أقيمت في المغرب من أهمها: صناعة النسيج التي اشتهرت بها مدينة سوسة، حيث كان سوق الغزل بها من الأسواق الرائجة بالمدينة، كما كانت ثياب مدينة سوسة في بلاد المغرب تمتاز بالإتقان وحسن الجودة[1].

وقد سئل الونشريسي عما جرت له عادة سكان سوسة، ان أكثرهم لا يغيب عن سوق الغزل بين صلاتي الظهر والعصر، فينفذ وراء الخصم وقتئذ ممن هو بالسوق المذكور، هل يجب عليه الإنقياد أو يمتع منه مع أن تأخيره لا يشق غاية المشقة؟ او ينظر إلى عين كل نازلة هل قصد الطالب الضرر ببعثه ام لا؟ فجواب الونشريسي على ذلك (أن أصل هذه المسألة الموازنة بين ضررين، فمن علم قصده للضرر بالمطلوب بالبعث إليه في هذه الساعدة، فلا يمكن منه، وما يحلقه الضرر بمعاودة القاضي، وفي انتظاره ضرر ولم يتفق طلبه إلا تلك الساعة والإضرار به في التأخير أشد من إضرار خصمه، فيحضر له حيئذ إلا ان تكون عادة المتعاملين عدم التحاكم، حينئذ فيها ملون بما نحلوا عليه، ومع عدم العادة فالأصل ما تقدم)[2].

ويوجد في حاضرة تونس الخياطين كما كانت سوق خاصة وهي سوق القماش زيادة عن ذلك، ان بعض أسواق حاضرة تونس تضم عدد كبير من تجار القماش، حيث يعتبرون من أغنى سكان الحاضرة[3].

وجاء في الحسبة على الخياطين ان يؤمرون بجودة التفصيل، وفتح الجيب بحسن، ويجب أن تكون التخاريص واسعة، والاعتدال في الكمين والأطراف، ويجب أن يكون الذيل مستوى،

[1] أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص67-68.

[2] – الونشريسي احمد، المصدر السابق، ج10، ص242.

[3] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص127.

ومن الأفضل أن تكوتن الخياطة درزا، والإبرة دقيقة، والخيط قصير في الغرم، ويجب ان لا يفصل الخياط لأحد ثوبا له قيمة حتى يقدره، ثم يقطعه بعد ذلك[1].

وتشتهر حاضرة تونس بالزيوت النباتية، التي تستخرج من الزيتون بواسطة معصرة، حيث يتم الحصول على زيت متوسط الجودة، وهذا النوع من الزيت كان موجود في حاضرة تونس، يستخرج عن طريق المعصرة يسمى المعصري، كما توجد طريقة أخرى لاستخراج الزيت، حيث تكون كميات الزيت قليلة لكنها أحسن جودة وتسمى ضرب الماء، فتغسل حبات الزيتون بالماء الحار وتحول إلى عجينة، ثم توضع في اواني مختلفة، وعند طفو الزيت على السطح يجمع[2].

كانت صناعة الزيوت نشيطة في بلاد المغرب، وذلك لوفرة مزارع الزيتون بها، حيث كثر في معظم بلدان المغرب بيع وكراء معاصر الزيتون[3] وتشير إحدى نوازل الونشريسي: أن رجلا باع معصرة زيتون واشترط في العقد أن يعصر فيها زيتونه لمدة سنوات معينة، فلا بأس به، فإن لم يضرب لذلك أجلا فالبيع مفسوخ.[4]

ويذكر أن سكان تونس في القرن 9ه، و 15م، كانوا يستعملون نوعا من الزيوت يسمونه المعصري، حيث كان يعد من الزيت الرفيع، في حين ينتج الساحل زيتا يعرف بضرب الماء، يعتبر أقل جودة من الأول.[5]

---

[1] – الشيزري بن نصر عبد الرحمان، نهاية الرتبة في طلبالحسبة، قام على نشره الباز العريني (د ط)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1365ه/ 1946م، ص67.

[2] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص128.

[3] أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص68.

[4] الونشريسي أحمد، المصدر السابق، ج5، ص256.

[5] الدولاتيب عبد العزيز، المرجع السابق، ص70.

إن كمية الإنتاج الكبيرة من الزيت تنتج عنها ازدهار صناعة الصابون، وعند تولية السلطان أبو فارس عبد العزيز الحكم(796–837ه/1394–1434م) أباح عمل الصابون على عامة الناس.[1]

وفي مجال صناعة الخزف اشتهرت حاسرة تونس بصناعتها الخزفية[2]، وقد أشار إليها ابن حوقل قائلا: ويعمل بها غصنار حسن الصباغ، وخزف حسن العراقي المجلوب.[3]

يصنع بحاضرة تونس أواني الماء من الخزف شديد البياض ورقيق[4]، تعرف بالريحية لا يوجد لها نظير في جميع الأقطار وعامة الأمصار.[5]

انتشرت الحيوانات في حاضرة تونس وضواحيها حيث كان سكانها يمارسون تربية الماشية إلى جانب اهتمامهم بالزراعة، نتج عنه توفر الجلود الحيوانية في الحاضرة، والتي تعتبر المادة الأساسية في قيام الصناعة الجلدية.[6]

وصناعة الجلد فكانت تحتل مكانة هامة بين صناعات تونس الحفصية، حيث توفرت هذه المادة بإفريقيا مما أصبحت تصدر إلى الخارج كميات كبيرة من الجلد والباقي يزود الصناع بما يحتاجونه لإعداد الأحذية مثلا، وقد خصصت لهذه الصناعة عدة أسواق لتهيئة الجلود، واعدادها صناعيا وتسويقها.[7]

وقد خصصت لصناعة الجلود أسواق عديدة منها سوق السراجين، وسوق الخزارين، كما اشتهرت حاضرة تونس بصناعتها الجلدية من خلال النقوش والزخرفة على الجلود، وأيضا

---

[1] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص128.

[2] المرجع نفسه، ص128، 129.

[3] ابن حوقل القاسم، المصدر السابق، ص75.

[4] ابن أبي دينار محمد، المصدر السابق، ص7، 10.

[5] البكري عبد الله، المصدر السابق، ج2، ص215.

[6] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق،129.

[7] الدولاتيب عبد العزيز، المرجع السابق، ص69.

البلقة والشيرية والسروج الجلدية.[1] وتضم بعض أسواق تونس عدد كبيرا من التجار...والسراجين.[2]

توجد بتونس مباني عجيبة ، حيث صنعت أبواب دورها من الرخام الأبيض ، ولوحان قائمان وثالث يعترض مكان العتبة.

تأثرت العمارة والبناء والزخرفة بالتغييرات والتطورات التي أدخلها عليها الأندلسيون المتخصصون وهي تطورات ذات طابع أندلسي لفن العمارة والبناء في حاضرة تونس خلال العهد الحفصي وقد بقيت معالمها المعمارية ذات التأثير الأندلسي إلى يومنا هذا مثل جامع الزيتونة الأعظم.[3]

وعن الحرف والصناعات قال ابن الشماع: أن جامع حاضرة تونس جميل الصبغة وحسن الموقع، يطل على البحر الأبيض المتوسط، شيد عبد الله بن الجحاب ودار الصناعة سنة114ه.[4]

وبني بحاضرة تونس في القسم الغربي منها قلعة كبيرة وقصور في غاية الجمال، وجامع ذا صومعة عالية، وكان البناء كله في غلية الروعة والاتقان.[5]

وأخيرا يمكن الإشارة إلى تعتم فنون البناء، إذ شيد أدرون بنفس طريقة التونسيين في بناء الأقباء بالحجارة تحت الأرض كما ينبه بدقة الحفر على الخشب الذي استعمل في الأسرة وعلى الجص في تزيين السقوف والجدران.[6]

---

[1] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق،129، 130.

[2] ليون الافريقي حسن، المصدر السابق، ص75.

[3] بكار العرفي فرحات، المرجع السابق، ص36، 37.

[4] ابن أبي دينار محمد، المصدر السابق، 10، 7.

[5] ليون الافريقي حسن، المصدر السابق، ج2، ص73.

[6] الدولاتي عبد العزيز، المرجع السابق،70.

ومعظم الديار التونسية مبنية بحجارة مزلوجة ومنحوتة، سقوفها مزدانة بالفسيفساء والجص المجزع بطريقة فنية رائعة، ومصبوغة باللازورد وغيره من الألوان، وتبلط الحجرات بمربعات لماعة تكون بلون فاتح، وأيضا تبلط الساحات بقطع لماعة وأغلب المنازل بها طابق أرضي، ومدخلها جميل له بابين: أحدهما يفضي إلى الخارج، والثاني يرتبط بالمسكن ويرقى إليه بسلم فيه بضع درجات مزدانة بتبليط جميل، بالإضافة إلى بساتين الملك وقصور وكانت فخمة جميلة بمختلف النحوت والرسوم.[1]

تعد الصناعات الخشبية من ضروريات العمران البشري، ومادتها الخشب وتدخل في صناعة الرماح والأقواس والسهام أيضا في صناعة الآثاث وفي سقوف البيوت والأبواب والشبابيك كما تستحدم في صناعة السفن وقد ظهر الاهتمام بدار صناعة السفن في عهد القائد حسان بن النعمان الغساني(74-86ه/693-706م)[2]

فوصل القبط إلى حسان وهو مقيم في تونس فمر على البحر من مرسى رادس إلى دار الصناعة إذ جعل فيها الكثير من المراكب أما أمر القبط بعمارتها.[3]

وتعتبر دار الصناعة أول دار أنشأت لصناعة السفن في المغرب العربي، واشتهرت من بين دور الصناعة الأخرى، وكان يحمل إليها الخشب والقضب من مدينة طبرقة، كما انتشرت في بلاد المغرب العربي صناعات خشبية أخرى، واشتهرت بها حاضرة تونس ومن أهمها صناعة الأطباق والملاعق والأقلام الخشبية.[4]

يعود تقدم الصناعات الخشبية في حاضرة تونس إلى مجموعة من الحرفيون والصناع الأندلسيون اللذين أدخلوا التجديدات والتغيرات والنوافذ والأبواب... وغيرها.[5]

---

[1] ليون الافريقي حسن، المصدر السابق، ج2، ص77.

[2] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص130.

[3] ابن أبي دينار محمد، المصدر السابق، ص12.

[4] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص130، 131.

[5] بكار العرفي فرحات، المرجع السابق، ص37.

كما وصف محمد العبدري جامع تونس أنه من أحسن الجوامع وأتقنها، ودائرة مسقف ووسط الجامع فضاء، وقد نصبت فيه أعمدة من خشب، وشدت إليها جبال متينة في الحلق، من جديد مثبتة في السقوف، وفيها شدا محكما.[1]

ومعظم دور الحاضرة بنيت بالحجارة أو الأجر والجير وهي في غاية الاتقان، وهذه الدور ذات سطوح متدرجة تكمن في صرف مياه الأمطار وإلى الخزانات، أما السقوف فهي تصنع من الجبس المزخرف بالذهب وبمجموعة من الألوان، وأرضية الغرف فهي مصنوعة من مربعات صغيرة من الإسمنت أو بلاط مرصع.[2]

وقد وصف محمد العبدري البلنسي أثناء رحلته إلى حاضرة تونس أن تونس من المدن العجيبة الغريبة، فهي واسعة في غاية الاتقان، وأكثر أبواب ديارها معمول من الرخام، ومعظم مبانيها بنيت من الحجر المنحوت المحكم العمل، ولها أبواب كثيرة وعند كل باب منها ريض واسع.[3]

واشتهرت حاضرة تونس بصناعة العطور لما لها من مكانة كبيرة حيث تم تخصيص سوق في وسط الحاضرة تعرف بسوق العطارين، حيث اشتهرت تونس بصناعة عطر ماء الورد الجميل الرائحة، وهذه السوق من الأسواق التي يكثر عليها الاقبال خاصة النساء، حتى أن العطارين كان آخر من يغلقون دكاكينهم.[4]

وقد جاء في الحبسة على العطاريين أن غشوش العطر كثيرة ومختلفة لاختلاف أجناس الطيب وأنواعه، وتقارب العقاقير الطبية في الرائحة فمن ذلك أنه (يعملون نافجة المسك من قشور الأملج والشيطرج الهندي ومثلها شادوران ويعجنونه بماء صمغ الصنوبر ويجعلون من كل

---

[1] العبدري محمد، المصدر السابق، ص70.

[2] كربخال مارمول، المصدر السابق، ج3، ص22، 23.

[3] العبدري محمد، المصدر السابق، ص69.

[4] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص131.

أربعة دراهم من هذا درهم مسك ويملؤون به النافجة، ويغلقون رأسها بالصمغ ثم يجففونها على رأس تنوار)[1]

وتوضح إحدى نوازل الونشريس أن الحكم على الدكاكين التي تكون بين يدي الحوانيت في بعض الأسواق وربما تضر بالمارين وتضيق عليهم عند اضطرام الأعمال وكثرة الناس، فالجواب على ذلك إذا ضر المارين فلا خلاف في هدمه وزواله حتى لا يبقى له أثر، (وغلته مردودة لا تحل للمغتل وتصرف للفقراء، ولا تنفع الحيازة على العامة.)[2]

كانت الصناعات الثمينة تتجمع حول الجامع الأعظم، في حين أبعدت المهن والصناعات المسببة للتلوث وازعاج سكان تونس إلى أطراف الحاضرة.[3]

ومن البديهي أن تنتشر في حاضرة تونس بعض الصناعات كصناعة الخبز والحلويات وغيرها.[4]

وبالنسبة للخبز بتونس كان في غاية الجودة، لونه أبيض مخبوز حيث كان لا يصنع من الدقيق فقط، بل يخلط في السميد ويعالج بعناية.[5]

ويصنع في حاضرة تونس الخبز الأبيض جيد النوعية لأنه صنع من الباب الدقيق، فبعد الزرع يعاد طحنه مرة أخرى، وبذلك يكون خبز ذات جودة، وكذلك صنع الخبز من دقيق الشعير، حيث يعجن ويطبخ في الماء ويعمل فيه كمية من الملح، ويتم تناوله بعد غمسه في الزيت أو السمن، وأيضا دون طبخ كان يغمس في الماء أو الزيت ويمارس، ثم يقدم مع عصير البرتقال أو الليمون.[6]

---

[1] الشيزري عبد الرحمان، المصدر السابق، ص48.

[2] الونشريسي أحمد، المصدر السابق، ج8، ص455.

[3] الدولاتلي عبد العزيز، المرجع السابق، ص70.

[4] الدولاتي عبد العزيز، المرجع السابق، ص70.

[5] ليون الافريقي حسن، المصدر السابق، ج2، ص75.

[6] كربخال مارمول، المصدر السابق، ج3، ص21.

اشتهرت تونس على جودة خبزها الشديد البياض واللذيذ والرقيق.[1]

وجاء في الحسبة أن يجب على الخبازين أن ترفع سقائف حوانيتهم وتفتح أبوابها، وأن يجعل في سقوف الأفران ثقب واسعة، يخرج منها الدخان لكيلا يتضرر بذلك الناس، وإذا فرغ الخباز إحمائه مسح داخل التنور جيدا، ثم يبدأ في الخبز.[2]

كما يوجد بتونس سوق يباع فيه دقيق الشعير لصنع البسيس، ولهم طعام آخر أجود منه، فيكون عجين خفيف، يطبخ في الماء أو مرق اللحم ويسمى البازين، كما توجد أطعمة أخرى.[3]

وقد جاء في الحسبة، أنه يحرم على الحبوبيين والدقاقين، احتكار الغلة، فلا يخلطون الحنطة الرديئة بالجيدة، ولا القديمة بالجديدة، فهذا تدليس على الناس إذا دعت الحاجة إلى غسل الغلة، تجفف بعد غسلها جيدا، ثم تباع منفردة.[4]

توضح بعض نوازل الونشريسي أن الحكم في الخبز والدقيق عندما يكونان ناقصين في الوزن لا سيما إن تكرر ذلك منهما فكان الجواب: إن تكرر هذا الفعل من الخباز أزيح من السوق، ولا يترك في الأسواق من تكررت الخيانة والسرقة منه، ثم إن فقيرا ترك خبزه وهو يجري في أمره الصدقة، ومن تكرر مثل ذلك في الدقيق يحكم عليه مثل الخباز.[5]

وفي عهد الخليفة الحفصي أبي يحيى أبي بكر(692-747ه/1293-1346م) ازدهرت صناعة الطحين فوجد في المدينة ما يزيد على مائة وعشرون طاحونة، وقد استخدمت

---

[1] الدولاتي عبد العزيز، المرجع السابق، ص70.

[2] الشيرزي عبد الرحمان، المصدر السابق، ص22.

[3] ليون الافريقي حسن، المصدر السابق، ج2، ص76.

[4] التشيرزي عبد الرحمان، المصدر السابق، ص21.

[5] الونشريس أحمد، المصدر السابق، ج6، ص488.

صناعات في حاضرة تونس أصلها أندلسية هي: صناعة القلانس أو ما تسمى بالشاشية، وهي غطاء للرأس وبرعت فيها تونس عن غيرها من المدن.[1]

حيث كان يطحن بها أربعة آلاف فقير من القمح يوميا، ألف تبل وألف تطحن وألف تغربل وألف تصنع.[2]

وأما عدد طواحين الحاضرة قدر بألف ومائتين حسب كلام نجم الدين الدولاتي، كما أضاف أدورن وليون الافريقي أن هذه الطواحين لم تعمل بالماء والهواء، بل كانت تسيرها الحيوانات وهذا ما يفسر وفرة عددها.[3]

وتوضح بعض النوازل وفرة أرحاء الغلال في حواضر المغرب، فقد تعددت الرحى التي تدار بالدواب أو بقوة جريان المياه[4]، ويشير الونشريسي في إحدى نوازله إلى وجود شريكين لإقامة أرحاء لطحن الحبوب، فكان حكمه على ذلك هو أنهم أجازوا أقسمتها باليوم واليومين، وأقرب لأجل تشابه الغلة في ذلك وعدم تباينها إلا باليسير المفتخر وبهذا عللوا ذلك الحكم.[5]

ويتحدث محمد العبدري أثناء رحلته إلى المغرب لأدنى، أن في ديار حاضرة تونس مصانع لماء المطر، وهو المستعمل عند سكان تونس.[6]

كما ظهرت صناعات أخرى اشتهرت بها حاضرة تونس منها صناعة الملح، إذ وجدت في غرب حاضرة تونس ملاحة كبيرة منها ملحهم، وملح من يجاورهم، وكذلك اشتهرت الحاضرة

---

[1] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص132.

[2] ابن الشماع بن أحمد محمد، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح وتق، الطاهر بن محمد المعموري، (د ط)، الدار العربية للكتاب، (د م ن)، 1984م، ص91.

[3] الدولاتي عبد العزيز، المرجع السابق، ص70.

[4] أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص68، 69.

[5] الونشريسي أحمد، المصدر السابق، ج5، ص236.

[6] العبدري محمد، المصدر السابق، ص110.

بإنتاج العسل، واشتهرت كذلك بصناعة الورق الذي يصنع من الكتان، حيث أنه ظهر سوق خاص يعرف بسوق الوراقين.[1]

وازدهرت الصناعات المعدنية وتشمل هذه الصناعات، صناعة الآلات الفلاحية، وصناعة السفن والأسلحة إلى جانب هذه الصناعات يوجد دار لصناعة السكة التي تختص في صناعة واصدار المسكوكات العملة النقدية من الذهب والفضة والنحاس للدولة الحفصية.[2]

المبحث الثالث: الحركة التجارية

عرف ابن خلدون التجارة "بأنها محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء...وذلك القدر النامي يسمى ربحا."[3] والأسئلة المطروحة هي:

-ماهي الأسواق التي كانت في حاضرة تونس؟ وماهي التعاملات النقدية التي تحدث في تونس؟

-ماهي طرق التجارة لنقل السلع والبضائع في حاضرة تونس؟ وفيما تتمثل صادرات وواردات تونس؟

-ما طبيعة العلاقات التجارية لحاضرة تونس؟

أولا: الأسواق

تكشف لنا المصادر عن أنواع عديدة من الأسواق في بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة، فهناك الأسواق اليومية والتي وجدت في مدن بلاد افريقية، وتنقسم إلى قسمين: أسواق

---

[1] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص131، 132.

[2] بكار العرفي فرحات، المرجع السابق، ص38.

[3] ابن خلدون عبد الرحمان،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشيوالفهارس: خليل شحادة، ج1،(د ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421ه، 2001م، ص171.

الصناعات اليدوية، حيث يتم فيها تحويل المواد الأولية إلى مصنوعات وأسواق معدة لعرض وبيع تلك المصنوعات المحلية أو التي تجلب من الخارج.[1]

ويمكن الإشارة إلى أن الدكاكين المخصصة للتصنيع، كانت أكثر مساحة من دكاكين البيع، لأن العمل في التصنيع يتطلب مكانا واسعا لوضع الآلات والمواد الأولية اللازمة للصناعة، وكذلك لاستيعاب العاملين.[2]

وتميزت تلك الأسواق بظاهرة التخصص بمعنى: "أن تتجمع كل مجموعة من التجار في سوق خاصة بها تنسب إليها، مثل سوق الحواتين، وسوق العطارين، وسوق المركاض وسوق الكتين، وسوق القماش...وغيرها.[3]

والنوع الثاني من الأسواق الأسبوعية، التي كانت تعتمد في أيام معينة في الأسبوع بحيث يجتمع فيه أهالي القرى بسلعهم لبيعها وشراء ما يلزم من الحاجيات، والسوق الأسبوعية وجدت منذ زمن بعيد ومازالت مستمرة إلى يومنا هذا وكان العمل يبدأ في الأسواق منذ أن تفتح أبوابها بعد طلوع الشمس، ويمتد لساعات متأخرة من النهار، وكانت عادة الأسواق في الأعياد أن تغلق أبوابها ولا تفتح إلا بعد خمسة عشر يوما من انتهاء العيد.[4]

وجد سوق الكتابين في بداية الدولة الحفصية وسوق الرهادنة ويباع فيه الألبسة والأمتعة وسوق النحاس أو سوق الصفارين وتصنع فيه جميع الأوعية النحاسية حيث يزود الحاضرة بالأواني النحاسية وكذلك يوجد سوق يسمى الشماعين يختص بصناعة الشموع لذلك سميت بهذا الاسم، وظهرت هذه السوق في زمن ابن زكريا الحفصي.[5]

---

[1] جبوده مريم، التجار في بلاد افريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي(555-980ه/1160-1572م)، إشراق سامية مصطفى مسعد، رسالة متقدمة لنيل درجة الدكتوراه، في الآداب، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الزقايق،2008م، ص175، 176.

[2] جبودة مريم، المرجع نفسه، ص176.

[3] المرجع نفسه، ص176.

[4] جبودة مريم،المرجع السابق،ص177-181-182.

[5] الدليمي منذر عطا الله،المرجع السابق، ص134-135.

(625-647ه/1228-1249)، وأكد ابن أبي دينار هذا الكلام في قوله: "سوق الشماعين يعمل فيه السبابط في يومنا هذا"[1]، في زمن المولى أبي يحيى أبي بكر(710-747ه/1310-1346م)،[2] هو ابن المولى ابن يحيى أبي بكر المولى أبي زكريا.[3]

وأيضا يوجد سوق آخر يعرف بسوق القماش وينسب إلى السلطان أبو عمرو عثمان (839-893ه/1435-1488م)[4]

كما تواجدت الأسواق حول جامع الزيتونة، والمساجد وارتبطت وظيفتها بالجامع والمساجد في توفير احتياجاتها ومن هذه الأسواق هي: سوق الشماعين، سوق العطارين، سوق الكتب وتوجد حوانيت العدول لأن عقود الزواج والشراء والبيع والاستئجار يشهد عليها بالجامع الأعظم[5]

وهناك بعض الأسواق الأخرى مازال جزء منها قائم بذاته إلى يومنا هذا، كانت توجد بجانب أبواب الحاضرة مثل سوق السراجين قرب باب المنارة، وسوق الحدادين قرب باب الحديد، وسوق الصباغين بالقرب من باب الجزيرة وفي باب البحر لم يعد هناك وجود لسوق الحواتين التي كانت موجودة من قبل وفي خارج باب الحديد وسط الريف الجنوبي توجد مجموعة صغيرة من الأسواق النشيطة منذ العهد الحفصي، أما سوق البلاغين التي تشير إليها بعض المصادر إلى وجودها، فلا توجد إلا سوق البلاغجية الحالية.[6]

---

[1] ابن أبي دينارمحمد، المصدر السابق، ص127.

[2] الدليمي منذر عطا الله،المرجع نفسه،ص135.

[3] ابن أبي دينارمحمد، المصدر نفسه، ص136.

[4] الدليمي منذر عطا الله،المرجع السابق،ص135.

[5] بكار العرفي فرحات، المرجع السابق، ص40.

[6] روبا برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص377.

وتضم بعض أسواق حاضرة تونس جمع كبير من تجار القماش، وهم من أغنى سكان تونس كما تضم غيرهم من الصناع والتجار، كالعطارين وبائعي الأشربة والعقاقير وتجار الحرير والخياطين والسراجين والقصابين وغيرها من الحرف التي كانت تمارس في هذه الأسواق.[1]

وصف العبدري حاضرة تونس[2] بأنها حاضرة عجيبة المتاجر كثيرة الأسواق[3]، كما حدث ابن أبي دينار في كتابه المؤنس في أخبار افريقيا وتونس أن حاضرة تونس كثرت خيراتها وعمرت فيها الأسواق.[4]

وفيما يخص السلع التي تعرض داخل تلك الأسواق، فقد تنوعت واشتهرت كل منها بنوع معين من المعروضات، فالبعض اختص بالتجارة في المحاصيل الزراعية والبعض في المنتوجات الحيوانية، والبعض الآخر في المنتوجات الصناعية، وبذلك حدث نوع من التكامل بين الأسواق عن طريق تبادل السلع بين المدن والقرى، وإلى جانب المواد العادية احتوت أسواق تونس على أنواع من البضائع الرفيعة.[5]

وترتب الأسواق على شكل دكاكين متصلة يقابله صف آخر من الدكاكين ولكل سوق مكان خاص به، ويتم اختيار عريف، وتكون وظيفته الاشراف على إدارة الأسواق، ويمنع ما يحصل من غش في الأسواق، ويعمل على تحسين العلاقة بين أصحاب المهنة والعمال والأعوان، وقد تقوم الدولة ببناء هذه الدكاكين على نفقتها.[6]

---

[1] ليون الافريقي حسن، المصدر السابق، ج2، ص75.

[2] ابن رشيد السبتي بن عمر محمد، الرحلة، دراسة وتحليل:أحمد حدادي، ج1،(د ط)، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 1424هـ/2003م، ص31.

[3] ابن أبي دينار محمد، المصدر السابق، ص.

[4] المصدر نفسه، ص14.

[5] جبودة مريم، المرجع السابق، ص136.

[6] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص136.

ومن أعظم ما قام به السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز(796-837ه/1394-1434م) لغاء الضرائب التي فرضت من قبل على جميع أسواق تونس.[1]

وزاد اهتمام الأمراء بالتجارة حيث بذلوا ما بوسعهم لتطويرها إذ عملوا على ترويج منتوجات البلاد الداخلية بتنظيم أسواق بحاضرة تونس، خاصة للحيوانات منها رحبة الغنم وبطحاء الخيل، وبإحداث أسواق بتونس للزيت والخضر والحبوب والنحاس وبناء أسواق حول جامع الزيتونة ومنها سوق الشماعين وسوق القماش.[2] وكان بتونس أزيد من 7000 سوق للعطارين.[3]

بالإضافة إلى التجارة الداخلية نظم الأمراء التجارة الخارجية في البر عن طريق القوافل التجارية، وفي البحر عبر الأسطول التجاري الذي تم تجديده.[4]

ويتحكم في إدارة هذه الأسواق فئات التجار على اختلاف أنواعهم ورؤوس أموالهم، إلى جانب الفئات الأخرى التي تتكفل بجمع السلع، وهناك من يحددون الأسعار ويكونوا وسطاء بين البائع والمشتري.[5]

ويقوم المحتسب أو صاحب السوق على تنظيم أنشطة الحرف والصناعات وطرق استغلال الدروب والأزقة ونظافة الشوارع كما اجتهد المحتسبين والفقهاء في تونس على منع بعض الممارسات التجارية المخالفة للأحكام الشرعية مثل: البيع لأجل مجهول، أو البيع بالربا، أو احتكار السلع والبضائع.[6]

---

[1] المرجع نفسه، ص136.

[2] بن عامر أحمد، المرجع السابق، ص98-99.

[3] ابن أبي دينار محمد، المصدر السابق، ص136.

[4] بن عامر أحمد، المرجع السابق، ص99.

[5] بكار العرفي فرحات، المرجع السابق، ص41.

[6] المرجع نفسه، ص42.

وجاء في الحبسة أن في النظر في الأسواق والطرقات أن ينبغي أن تكون الأسواق في الارتفاع والاتساع على ما وضعته الروم قديما، ويكون من جانب السوق إفريزان يمشي عليها الناس في زمن الشتاء إذا لم يكن السوق مبلطا، ولا يجوز لأحد من السوقة اخراج مصطبة دكانه على سمت أركان السقائف إلى المهر الأصلي لأنه عدوان على المارة، يجب على المحتسب ازالته والمنع من فعله، لما في ذلك من لحوق الضرر بالناس، ويجعل لأهل كل صنعة منهم سوقا يختص بهم وتعرف صناعتهم فيه.[1]

ثانيا: التعاملات النقدية

كانت الأسعار في الأسواق ترتفع مرة وتنخفض مرة أخرى، وقد تختلف من مكان إلى آخر وذلك حسب ظروف كل بلد، وكل مدينة من الظروف السياسية، ومدى توفر المنتجات والكوارث الطبيعية والأزمات الاقتصادية، ففي فترات استقرار الأوضاع السياسية يكثر الإنتاج فتقل الأسعار.[2]

وعندما سيطر بني مرين على حاضرة تونس سنة(749ه–1348م) ارتفعت الأسعار وكان سعر القفيز من القمح ثمانية دنانير من الذهب وفي سنة 755ه/1355م ارتفع سعر الطعام بتونس، حتى وصل سعر القفيز من القمح أحد عشر دينارا من الذهب والشعير.[3]

وفي أوائل عام 862ه/1458م يقول الزركشي[4]: " أصاب الناس بتونس غلاء في الطعام بلغ قفيز القمح أربعة دنانير ذهب والشعير على الشطر من ذلك، فشكى الناس قلة الطعام وغلاءه للسلطان فأمر أن يخرج من المخزن في كل يوم ما يصنع منه ألف خبزة، وتفرق على

---

[1] الشيزري عبد الرحمان، المصدر السابق، ص11.

[2] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص137.

[3] المرجع نفسه، ص138، 139.

[4] الزركشي بن إبراهيم محمد، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح وتع: محمد ماضود، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص150.

الفقراء والمساكين بتونس[1] وكان السلطان في تلك الوقت هو السلطان أبو عمر عثمان(839-893ه/1435-1488م)

فقام بتوزيع الخبز على الفقراء حتى كثر الطعام ورخص ثمنه ويذكر ابن خلدون في ذلك: "فإذا استبحر المصر وكثر سكانه، رخصت أسعار الضروري من القوت...وغلت أسعار الكمالي."[2] وأن الموجود من كل شيء رخيص يوجد، إنه غال بفقدانه إذا مست الحاجة إليه.[3]

تعرف السكة بأنها الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس، بطابع جديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة، ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم ذلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك في خاوصه بالسبك مرة أخرى، وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه، فيكون التعامل بها عددا، وإن لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزنا.[4]

ولفظ السكة كان اسما للطابع وهي الحديدة ثم نقل إلى النقوش المائلة على الدنانير والدراهم وهي وظيفة مهمة للملك، حيث يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند التعاملات النقدية.[5]

وفي العصر الحفصي ظهرت العملة الحفصية منذ قيام الأمير أبو زكريا الحفصي (627-647)، فقام بسك دينار باسمه مدور الشكل وفي الوسط مربع في دار سك النقود عند بتونس، وكتب عليه في الدائرة من الوجه الأول: بسم الله الرحمان الرحيم- صلى الله على سيدنا محمد-وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمان الرحيم.، وفي وسط المربع: الواحد إله-محمد

---

[1] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص 139.

[2] ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص398.

[3] الجاحظ بن بحر عمرو، التبصر بالتجارة في وصف يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة، والأعلاق النفسية والجواهر الثمينة، عنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: حسن حسني عبد الوهاب، ط3، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، 1414هـ/1994م، ص9.

[4] ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص285.

[5] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص140.

رسول الله–المهدي خليفة الله، وفي الدائرة من الوجه الثاني الأمير الأجل أبو زكريا يحيى بن أبي رب العالمين.[1]

وكانت الكتابة بالخط الكوفي المزخرف أو بالخط الأندلسي أما الكتابة على الدرهم فكانت تكتب على الوجه لا إله إلا الله، الأمر كله لله، لا قوة إلا بالله، وفي الوجه الآخر الله ربنا– محمد رسولنا– المهدي إمامنا.[2]

وفي فترة الخليفة المستنصر بالله الحفصي(647–675ه/1249–1277م)، تغير شكل الدينار بعد أن وصلت البيعة في مكة المكرمة سنة 657ه، إذ أصبحت العبارة التي تكتب على الدينار المستنصر بالله –أمير المؤمنين–وفي وسط المربع أبو عبد الله محمد من الأمراء الراشدين.[3]

واستحدث الخليفة المستنصر بالله(647–675/1249–1277م) سكة من النحاس في ربيع الأول عام 660ه/1260م، ليسهل على الناس في التعاملات بإصرافها وأطلق عليها اسم الحندوس، إلا أنه ظهر في هذه السكة الفساد والغش عن طريق جماعة من اليهود بصرفها صياغتها بسبب نقصها عن الوزن فقطعها السلطان في شوال سنة 660ه.

وفي زمن السلطان الحفصي أبو عمر عثمان(839–893ه) جدد ضرب دراهم الفضة وسماها الناصري، وجزأه إلى خمسة أسداس الدرهم إلى خروبة، وهو ثلاثة أسداس وإلى قفصي وهو القيراط بعين سدس الدرهم.[4]

وعن وزن الدينار يذكر أحد المؤرخين قائلا: "ويزن الدينار الذي ملك تونس أربعة وعشرون قيراطا، أي ما يعادل(دوكة) وثلثا منها يروج منها في أوروبا وسبك أيضا عملة فضية مربعة الشكل تزن ستة قراريط، وتساوي ثلاثون منها أو اثنان وثلاثون منها دينارا واحد.[5]

---

[1] المرجع نفسه، ص142.

[2] الزركشي محمد، المصدر السابق، ص25.

[3] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص142.

[4] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص143.

[5] ليون الافريقي حسن،المصدر السابق، ج2،ص81.

وللأوزان والمكاييل والمقاييس أهمية كبيرة في الاقتصاد لأي بلد أو لأي مدينة، وذلك بسبب التعامل يوميا مع السكان عن طريقها خلال عمليات البيع والشراء وقد تنوعت هذه الوحدات واختلفت من مكان لآخر، ويضيف بأن أرطاله من رصاصه، كل رطل في حاضرة تونس يساوي اثنا عشر أوقية، والأوقية اثنا عشر درهما.[1]

وتتمثل الوحدة التي استخدمها الحفصيون للوزن في الأوقية التي يبلغ وزنها (48، 31غم) أما فيما يخص الذهب والمواد الثمينة فقد استخدم الحفصيون وحدة وزن أصغر وهي المثقال الذي يبلغ وزنه(72، 4غم) [2].

وقد كانت الأوقية من وحدات الوزن، حيث يبلغ وزنها الشرعي 40 درهما تساوي(125غم)، ويختلف وزن الأوقية من مكان لآخر من الرطل.[3]

وبالنسبة إلى كيل السوائل خاصة الزيت فقد تم استخدام وحدة الكيل وهي المطر، والمطر في حاضرة تونس تساوي 20،69 لترا، كما تم استخدام وحدة أخرى وهي الجرة وتساوي ثلاثة أمطار.[4]

وفي حاضرة تونس قام الحفصيون بتغيير القفيز الذي أصبح يساوي الوسق الشرعي ب معنى175،92 لترا، وأصبح يضم عشر صحاف ويسمى أيضا الويبه، أي تساوي7،59 لترا، وتشمل كل صفحة على 12 مدا وهو الصاغ الذي يساوي 1،46 لترا.[5]

وقد قام الحفصيون بإصلاح مكاييل تونس حسب الشريعة الإسلامية في الزكاة فيصير الوسق الشرعي في القدر مثل القفيز التونسي والذي يقدر بستة عشرة ويبه، إذ أن القفيز ستة عشر

---

[1] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص144.

[2] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص145

[3] قالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام...الترجمة عن الألمانية: كامل العسلي، (د ط)، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1970، ص19.

[4] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص145.

[5] المرجع نفسه، ص146.

ويبه، وكل ويبه اثنا عشر مدا قرويا يقارب المد النبوي وهي ثمانية بالكيل الحفصي، وكان يشترط في المكيال أن توضع في الأعلى علامة تحدد مقدار الكيل إذ يراها البائع والمشتري.[1]

وفيما يخص المقاييس التي تستخدم في الطول فتتمثل في الذراع وتقاسيمه هي: الشبر والقبضة والإصبع، كما يتمثل في قامة الإنسان التي تقدر طولها1،65 أو 1،70 أو كذلك من الوحدات الأخرة الفرسخ ويتكون من ثلاثة أميال وكل ميل يساوي 1000 باع وكل باع تساوي أربعة أذرع شرعية، بمعنى أن طول الفرسخ حوالي 6 كم^2، والميل الذي يساوي3/1 فرسخ يساوي 2كم^3، كما شاع استخدام الجريب وهو وحدة قياس مساحة الأراضي الزراعية.[4]

وقد فرض الحكام الحفصيون الرقابة علة الأسواق لضمان السير الحسن للحركة التجارية، ومن ذلك مراقبة المكاييل والموازين والحد من حالات الغش فيها، وتذكر المصادر وحدات الكيل والوزن التي يستخدمها أهل تونس ومدن إفريقية في تعاملاتهم خلال العهد الحفصي ومنها الصاع، والمد، والقنطار، والرطل، والوسق.[5]

وتوضح إحدى نوازل الونشريس أن في أحكام السوق " ينبغي للوالي أن يتحرى العدل، وأن ينظر في أسواق رعيته، ويأمر أوثق من يعرف ببلده أنت يتعاهد السوق ويعبر عليهم ضجتهم وموازينهم ومكاييلهم كلها، فمن وجده غير من ذلك شيئا عاقبه على قدر ما يرى من جرمه وافتياته على الوالي وأخرجه من السوق حتى تظهر منه التوبة والإنابة إلى الخير فإذا فعل هذا رجوت أن يخلص من الإثم وصلحت أمور رعيته انشاء الله.[6]

---

[1] المرجع نفسه، ص146-147.

[2] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص147.

[3] هنتس فالتر، المرجع السابق، ص95.

[4] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص42.

[5] بكار العرفي فرحات، المرجع السابق، ص42.

[6] الونشريسي أحمد، المصدر السابق، ج6، ص407.

وتبين بعض نوازل الونشريس، أنه سئل ملك على رجل رمى في مكياله رفثا ليرتفع به الكيل فأجاب: أنه يعاقب ويخرج من السوق.[1]

ثالثا: طرق التجارة

تعتر حاضرة تونس ذات أهمية كبيرة لأنها مقرا للخلافة الإسلامية لذا من الطبيعي أن ترتبط بشبكة من الطرق تربطها مع المناطق الأخرى مما ساعد على قيام حركة تجارية نشطة بين المدن الداخلية.[2]

الطريق من تونس إلى القيروان، فكان من تونس إلى منزل باشوا ثم من منزل باشوا إلى قرية الدواميس، فيها أشجار الزيتون كثيرة ومن قرية الدواميس إلى القيروان وطريق تونس إلى باجة ثم طبرقة ومن طريق طبرقة إلى مدينة بنزرت، والطريق من القيروان إلى تونس مائة ميل وهي على ثلاث مراحل إلى الفندق وإلى منستير عثما وإلى القيروان، ومن تونس إلى جزيرة شريك إلى منزل باشوا إلى مدينة سوسة ومن مدينة بجاية إلى تونس كانت الطريق تمر عادة من قسنطينة و أحيانا اتجاه عنابة ثم تتبع وادي مجردة، كما تتميز الطرق الداخلية بتفرعات عديدة.[3]

والطريق الساحلي من مدينة طرابلس إلى قابس عشر مراحل، ومن قابس إلى مدينة صفاقس أربع مراحل ويواصل الطريق من صفاقس إلى مدينة المهدية وبينهما ثلاث مراحل، ومن المهدية إلى المنستير إلى مدينة سوسة مرحلتان، ومن سوسة إلى مدينة الحمامات حتى إلى مدينة تونس ثلاث مراحل ويستمر الطريق الساحلي من مدينة تونس إلى بنزرت، ومن مدينة بونة إلى مدينة قسنطينة خمس مراحل، ومن بجاية إلى مدينة الجزائر ومنها إلى مدينة تنس

[1] المصدر نفسه، ص407.

[2] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص148.

[3] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص148، 149.

أربع مراحل، ومنها إلى مدينة وهران سبع مراحل، ومنها إلى مدينة سبتة ثماني عشرة مرحلة.[1]

وشهد الطريق الساحلي انتعاشا اقتصاديا خلال فترة الحكم الحفصي مما أدى إلى رواج التجارة وازدهارها مع المدن الأخرى.[2]

يصل حتى جزيرة مزغناي وينتهي في مدينة طنجة، وهذه هي المراحل التي رسمها لنا من طرابلس إلى تونس إلى بجاية ثم إلى الجزائر ومنها إلى وهران وسبتة ثم إلى طنجة، كما وجدت خطوط بحرية بين بلاد افريقيا والأندلس فكانت السفن تقلع من موانئ تونس وطبرقة وبونة وتنس ووهران جهة موانئ الأندلس.[3]

وفيما يخص طرق التجارة البرية الخارجية هناك طريقان شرقيان يربطان إفريقيا بالبلاد المجاورة لها: أولها الطريق البري الساحلي الذي يربط المنطقة ويبدأ في بجاية وبقية المدن الساحلية الإقليمية حتى تصل إلى الإسكندرية.[4]

كما أن ابن بطوطة نبه بأمن وسلامة هذا الطريق خلال رحلته وسماها " طريق الساحل" حيث قال: "وأشار إلى أنهم سلكوا الطريق الساحلي من بجاية إلى الإسكندرية مرورا بتونس وسوسة وصفاقس وقابس وطرابلس دون أن يحدث لهم أي مكروه، وأما الطريق الشرقي فهو يربط مدن إفريقيا الساحلية مع بقية مدنها الداخلية.[5]

أما عن الطرق البرية الغربية التي تصل بلاد إفريقيا مع بقي بقية المغربيين الأوسط والأقصى وبلاد الأندلس فهناك طريقان: الطريق الغربية الساحلية التي تكون في أــغلبها محادية لساحل

---

[1] المرجع نفسه، ص150.

[2] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص121.

[3] جبودة مريم، المرجع السابق، ص83، 84، 85.

[4] جبودة مريم، المرجع نفسه، ص94.

[5] ابن بطوطة، الرحلة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تق وتح: محمد عبد المنعم العريان، ج1، دار إحياء العلوم، بيروت، 1407هـ/1987م، ص15، 16.

البحر الأبيض المتوسط وهني امتدادا للطريق الساحلية، الشرقية، والطريق الغربية الداخلية التي تمر عبر الهضاب الوسطى من بلاد المغرب.[1]

وفيما يخص طرق القوافل البرية مع جنوب الصحراء هي: الطريق عبر غدامس فيكون عن طريق جبل نفوسة أو من بجاية إلى قابس عن طريق الطريقين الجنوبي والجنوبي الشرقي وبين قابس وغرامس أربعة عشر مرحلة والطريق عبر وارجلان ومن وارجلان إلى تمبكت الواقعة في الحوض الأعلى لنهر النيجر عن طريق توات، والطريق عبر سلهاسة فمن سلهاسة إلى تغازا ثم إلى أودغست ومنها إلى غانا وأخيرا الطريق عبر مراكش أغمات فيكون من أغمات قد يكون ضعيفا وذلك لبعد المسافة ولوجود طرق أخرى وهي أقرب وأسهل في الاستخدام.[2]

رابعا: الصادرات والواردات

وفيما يخص صادرات حاضرة تونس إلى المشرق يذكرها ابن حوقل في قوله: "فأما ما يجهز من المغرب إلى المشرق فالمولدات الحسان الروقة...والغلمان الروقة الروم والعنبر والحرير والأكسية الصوف الرفيعة والدنية، إلى جانب الصوف وما يعمل منه، والانطباع والحديد والرصاص والزئبق والخدم المجلوبون من بلاد السودان والحدم المجلوبون من أرض الصقالبة على الأندلس." [3]

وتتصل شمال إفريقيا ببلاد الشرق عن طريق إدخال بعض النباتات مثل القطن وقصب السكر والزعفران إلى بلاد المغرب.[4]

وتستورد حاضرة تونس من ممصر الكتان وإنتاج في مصر وأيضا تستورد الجوري. [5]

---

[1] جبودة مريم، المرجع نفسه، ص96.

[2] جبودة مريم، المرجع السابق ، ص100، 101، 102، 103.

[3] ابن حوقل القاسم، المصدر السابق، ص 94، 95.

[4] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص166، 167.

[5] المرجع نفسه، ص167.

ومن واردات تونس الأخرى ذكر أن " لباس عامة أهل إفريقيا من الجوخ ومن الثياب الصوف ومن القطن، فمن لبس غير هذا مما يجلب من طائف الإسكندرية."[1]

ومن وارداتها الأخرى مواد الأصباغ ومنها النيل وكذلك تستورد القرنفل، كما تصدر مصر الورق إلى بلدان العالم الإسلامي ومن بينها تونس.[2]

وتستورد تونس من السودان الرقيق كما تستورد من الأندلس بعض المواد الخام، فضلا عن الكتان الحرير وأدوات الصباغة، وكذلك تستورد مواد أخرى من الأندلس منها: الأدوات الخشبية وأدوات الموسيقى والمصنوعات المعدنية وخاصة الذهب.[3]

ومن واردات الأندلس إلى تونس (الخدم الصقالبة، والغلمات الرومية والإفرنجة، والجواري الأندلسيات، وجلود الخز والوبر والسمور، ومن الطيب الميعة والمصطكى)[4]

ومن بين واردات صقلية إلى تونس القمح وكذلك القطن.[5]

وقد عملت تونس على استيراد الحاجات من عدة دول ولم يقتصر الاستيراد على الحاجيات الضرورية بل تعدى إلى الحاجيات الكمالية وتستورد من جزيرة صقلية منها (ما يجلب الجوز واللوز والقسطل والفستق والبندق إلى بلاد إفريقيا وغيرها ويجلب منها كثير من القطن والميعة الطيبة السائلة وهي من أعظم الأدوية وأكثرها فائدة ومنفعة.)[6]

وفيما يخص المبادلات التجارية كانت صادرات الدولة الحفصية تتكون من عدة فلاحية مثل: الجلود والشمع، والحبوب والزيت، ومن بعض المعادن مثل الملح والرصاص، أما البضائع

---

[1] القلقشندي أحمد، المصدر السابق، ج5، ص143.

[2] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، 167.

[3] المرجع نفسه، ص167، 168.

[4] ابن حوقل القاسم، المصدر السابق، ص95.

[5] الدليمي منذر عطا الله،المرجع السابق، ص168.

[6] الزهري بن أبي بكر محمد، كتاب الجغرافيا، اعتنى بتحقيقه: محمد حاج صادق، (د ط)، مكتبة الثقافة الدينسية، ش بورسعيد–الظاهر (د، ت)، ص131.

التي تجلب من أوسط افريقيا عن طريق القوافل وتصدر إلى أوروبا تتمثل في الذهب والعبيد، وريش النعام وقطط الزباد، والمسك العاج وكانت هذه المواد تصدر إلى البلدان الأوربية أما الواردات الأوربية إلى إفريقيا فتتمثل في المواد الزراعية وبعض المصنوعات النسيجية، أما الواردات الزراعية الأوروبية التي تصدر إلى إفريقيا هي: الحبوب والكروم، وفيما يخص الواردات المعدنية فتشمل الحديد والفولاذ.[1]

قال الهمداني المعروف بابن الفقيه: " لولا أن الله عزوجل خص بلطفه كل بلد من البلدان، وأعطى كل إقليم من الأقاليم بشيء منعه غيرهم لبطلت التجارات وذهب الصناعات، ولما تغرب أحد ولا سافر رجل ولتركوا التهادي وذهب الشراء والبيع والأخذ والإعطاء، إلا أن الله عزوجل أعطى كل صفح في كل حين نوعان من الخيرات ومنع الآخرين ليسافر هذا إلى بلد هذا ويستمتع قوم بأمتعة قوم ليتعدل القسم وينتظم التدبير.[2]

وكانت من وسائل النقل للمبادلات التجارية البرية والداخلية هي قوافل الإبل والتي كان تجار الجملة يستأجرونها لنقل البضائع والسلع كما يستأجرون معها الفرسان المقاتلين لحماية القوافل التجارية من اللصوص والاعراب والوسيلة الثانية للنقل والأكثر أهمية في الحركة التجارية للدولة الحفصية هي السفن البحرية التجارية التي تنقل المنتوجات الزراعية من السودان والصناعية من تونس إلى أوروبا وتجلب من أوروبا منتوجاتها الزراعية الصناعية.[3]

خامسا: العلاقات التجارية لحاضرة تونس

لقد شكلت المنتوجات الزراعية نسبة كبيرة من النشاط التجاري الداخلي بين حاضرة تونس والمدن المجاورة لها في شمال إفريقيا وأكثر مدن شمال إفريقيا مشهورة بزراعة المحاصيل

[1] بكار العرفي فرحات، المرجع السابق، ص45، 46.

[2] الجاحظ عمرو، المصدر السابق، ص38.

[3] بكار العرفي فرحات، المرجع السابق، ص155.

الزراعية ومنتجاتها الحيوانية، فكانت تلك المنتوجات تحمل إلى حاضرة تونس[1] إذ وصفت بأنها: "محط الرحال من الغرب والشرق"[2]

وأن الحركة التجارية الداخلية بين حاضرة تونس وممدن شمال إفريقيا كانت تتأثر بالأوضاع السياسية التي في البلاد فكلما كانت البلاد يسودها الأمن والاستقرار تنشط التجارة، وكلما تكون الأوضاع السياسية متدهورة ومضطربة تتعثر التجارة الداخلية.[3]

وسادت في بلاد افريقيا الفوضى عند دخول القبائل بني هلال وبني سليم والذي شمل حاضرة تونس حيث نتج عنه انعدام الأمن والاستقرار فقد تعرض اقتصاد تونس إلى الاختلال، إذ أصبح من الصعب استثمار الأراضي الزراعية التي توجد خارج الحاضرة، ولم يعد يسلك الطريق الداخلي الرابط مدن شمال إفريقيا إلا نادرا، كما كان لحاضرة تونس علاقات تجارية مع مصر تمثلت أبرز صادرات تونس في مقدمتها: الزيت الذي تشتهر به حاضرة تونس لإنتاجها كميات كبيرة من الزيت وتصدر أيضا الأقمشة الكتانية التونسية إلى عدة أقطار، فضلا على أن حاضرة تونس كانت مركزا مهما لصناعة الجلود إذ تصدر المنتوجات الجلدية لإشهارها بالثروة الحيوانية وكانت من بين واردات مصر الأواني الخزفية وأيضا تصدر تونس إلى مصر اللوز.[4]

وبالنسبة إلى تدهور النشاط التجاري بين مصر وشمال افريقيا وخاصة حاضرة تونس فعلى الرغم من النشاط التجاري الكبير بين البلدين إلا أن الظروف السياسية قللت من حجم التبادل التجاري.[5]

---

[1] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص155.

[2] العبدري محمد، المصدر السابق، ص108.

[3] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص157.

[4] المرجع نفسه، ص157، 158، 159.

[5] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص159.

وفيما يخص علاقات حاضرة تونس التجارية مع السودان الغربي فقد ذكر ابن خلدون أن نقل السلع والبضائع من الأماكن البعيدة علاوة على ذلك مخاطر الطريق تكون أسعارها غالية.[1]

وأهم السلع المتبادلة مع السودان الغربي فكان أهمها الذهب إذ يعد البضاعة الرئيسية المربحة، علما بأن توجد سوق خاصة للصاغة في حاضرة تونس وكما كانت تجارة الرقيق رائجة في إفريقيا.[2]وبالنسبة لعلاقات حاضرة تونس التجارية كانت طبرقة وتونس الميناءان الرئيسيان في المنطقة ويعدان منفذين للتجارة مع الأندلس.

وخلال حديثه عن حاضرة تونس يذكر الأصطخري: "هي أول عدوة الأندلس يعبر دونها لأنها أول مدينة تحادي الأندلس وما دونها.[3]

ومن خلال هذا نلاحظ أن قرب تونس إلى الأندلس كان له دور كبير في المبادلات التجارية.[4]

خاتمة:

إذن يمكن القول أن تمكنت الدولة الحفصية، التي تزامنت ميلادها مع بداية القرن 7هـ / 13 م، من بسط نفوذها السياسي على كامل إفريقية لمدة زمنية تزيد عن ثلاثة قرون ونصف ، عاشت أثناءها البلاد أزهى أيامها، حيث عرفت نهضة حضارية حقيقية وقد مس هذا التطور الجانب الاقتصادي ، لاسيما النشاط الفلاحي والنشاط التجاري وكذلك الصناعي .

[1] ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص432.

[2] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص160.

[3] الكرخي الاصطرخي إبراهيم، مسالك الأبصار، (د ط)، مطبعة بريل، هولندة، 1927، ص38.

[4] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص161.

الفصل الثاني

الأوضاع الاجتماعية في حاضرة تونس

(7-10هـ/13-16م)

مقدمة:

يتكون سكان حاضرة تونس من عدة مكونات تشكلت في مجتمع الحاضرة، وعاشت متجانسة فيما بينها وأصبحت في النهاية من الحواضر المتطورة، بفضل التنوع السكاني فيها، ومن أهم مظاهر الحياة الإجتماعية في حاضرة تونس: السكن والبيوت ، مياه الشرب ، طعام أهل تونس، الملابس والأعياد والإحتفالات بالإضافة إلى عادات وتقاليد المجتمع التونسي، كما تعرض هذا المجتمع خلال القرن (7–10هـ / 13–16 م) للعديد من المشاكل وكانت أخطرها القحط العام، والأوبئة والحروب.

المبحث الأول: مكونات المجتمع الحفصي

يتكون سكان حاضرة تونس من عدة مكونات، تشكلت في مجملها مجتمع الحاضرة وعاشت متجانسة فيما بينها وأصبحت في النهاية من الحواضر المتطورة بفضل التنوع السكاني فيها والسؤال المطروح: ماهي أهم مكونات المجتمع الحفصي؟

1–البربر:

لقد اختلفت الروايات التاريخية حول أصل نسب البربر، فمنهم من يرجع نسبهم إلى ولد حام بن نوح عليه السلام/ ومنهم من يرجع نسبهم إلى حميد باليمن، ومنهم من يرجعهم إلى ولد كنعان بن حام بن نوح، وأنه ما قتل ملكهم جالوت على يد داوود عليه السلام تفرقوا بنو كنعان الذين سكنوا فلسطين وسكنوا بلاد إفريقيا والمغرب وسموا بالبربر.[1]

وقال الفقيه حافظ أبو محمد بن حزم في كتابه الجمهرة[2]: " ذكر العلماء بالأنساب أن البربر من ولد بن حام بن نوح عليه السلام وادعت طوائف منهم أنهم من اليمن ومن حمير،

[1] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص73.

[2] مجهول، تاريخ البربر المعروف بمفاخر البربر، تح وتع: محمد رينهم، جهاد للطباعة والنشر والتوزيع، (د م)، 1998، ص77.

وبعضهم ينسب إلى بر بن قيس غيلان، وهذا كله باطل لا شك فيه، وما علم النسابون لقيس غيلان ابن اسمه بر أصلا ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر إلا في تكاذيب مؤرخ اليمن.[1]

وقد قسم النسابون البربر إلى قسمين أساسين هما: البتر والبرانس وينتهي كل منهما إلى بربر بن مازيغ، كما أن أصلهما واحد وهم من ولد كنعان بن حام وكان معظم سكان منطقة شمال إفريقيا من البربر وهم قبائل متعددة وشعوب كثيرة وطوائف متفرقة لكثرة بطونهم وتشعب قبائلهم، ويرجع أصول أغلب القبائل البربرية إلى أــصل عربي، وأما عن ديانتهم قبل الفتح العربي الإسلامي فقد تنصر الكثير منهم، وجزء منهم دخل الديانة اليهودية، وخلال عمليات الفتح العربي الإسلامي التي قام بها القائد حسان بن النعمان أسلم الكثير من البربر فلقد كانوا يشبهون عرب المشرق في مختلف الصفات، فنجدهم سيكون الجبال والبراري وينتقلون في البلاد بمواشيهم وإبلهم كعرب المشرق.[2]

والبرابرة يمتازون بالإسلام ولغتهم العربية واحتفاظ القليل من عناصر البربر بصبغتهم الأصلية ولغتهم القديمة في جهات منعزلة.[3]

واندمج البربر في العرب اندماجا حمل بعضهم على انتحال النسب العربي، وإذاعته لبين الناس مثل الكثير من المسلمين غير الغرب في الأقطار الإسلامية الأخرى.[4]

---

[1] بن حزم بن أحمد علي، جمهرة أنساب العرب، تح وتع: عبد السلام هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، ص

[2] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه،74، 75، 76.

[3] الأنصاري الرصاع، محمد الفهرس، تح وتع: محمد العنابي، (د ط)، المكتبة العتيقة، تونس، (د ت)، ص69، 70.

[4] جوهر حسن محمد، تونس، (د ط)، دار المعارف، بمصر، 1961، ص69.

2-عرب المشرق:

مثل عرب المشرق العنصر الثاني من عناصر سكان حاضرة تونس، إذ استقر هؤلاء في الحاضرة ودخل العنصر العربي مع الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب في شكل جيوش فاتحة حيث استقر رجال هذه الجيوش في مختلف جهات المغرب العربي كله بعد إتمام عملية الفتح وبعدها لحقت بهم جماعات أخرى من الجند والمهاجرين العرب مع استمرار عملية الفتح [1].

ومن الصعب تقديم صورة واضحة ودقيقة عن السكان بسبب عدم استقرارهم وكذلك نقلهم إلى مناطق أخرى في بلاد المغرب، إضافة إلى وصول إمدادات جديدة من المشرق ولقد سكن العرب مدينة تونس في زمن مبكر منذ تأسيسها وكان معظم السكان من الجند الذين قاموا بتحرير افريقيا، فخرج أبو المهاجرين من مصر بجيوش من سكان الشام ومصر إلى إفريقيا فوصل إلى قرطاجة ويقال نزل بتونس.[2]

أشار كربخال إلى أن معظم حاضرة تونس يغلب عليها طابع البادية، سكانها مجموعات كثيرة من قبائل العرب والبربر وقد انتشرت قبائل البربر في كل الأقاليم بالحاضرة التونسية.

كما سكن إقليم تونس مزيج من العرب والبربر[3]، فهذا الإقليم يحتوي على عدد كبير من المدن والقرى تعرض أغلبها للتدمير من طرف العرب عندما جاؤوا لأفريقيا واستوطنوا بها[4].

---

[1] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص76، 77.

[2] المالكي بن محمد عبد الله،رياض النفوس، تح: بشير البكوش، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1402هـ/1982م، ص31.

[3] تمام محمد، الأحوال الاجتماعية في تونس في القرن السادس عشر من خلال رؤية الرحالة الاسباني مارمول كربخال، مجلة الدراسات الإفريقية، مج46، عدد3، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 2024، م، ص12، 13.

[4] كربخال مارمول، المصدر السابق، ج3، ص17.

ورحلت بعض بطون بني هلال إلى تونس مثل رياح والأثبج وبنو عدي واستقروا فيه حي يقع غرب الريف الشمالي يسمى بحي نفاث، وقد كان قبائل بني هلال بني سليم ترجع إلى أصل عربي واحد إذ ينسبون إلى منصورين عكرمة بن حفصة بن قيس بن كيلان بن مضر، فقد سكنت حاضرة تونس قبائل عديدة منها غسان ونجيب ومعاصر وكنانة والأزد، بني تيم، هديل، عبس وفيها من أهل مصرو أيضا من أهل الشام.[1]

وجميع قبائل العرب، فهي ترجع إلى أب واحد حاكما لا ثلاث قبائل وهي: تنوخ والعنق وغسان.[2]

3- الأفارقة:

هم خليط من الناس كانوا يسكنون الجهات الساحلية المحيطة بالمدن البيزنطية، وهم مزيج من المستعمرين اللاتينيين وبقايا من الشعب القرطاجي القديم ومزارعي البيزنطيين وصناعهم، ومجموعة من عرب المغرب من أستقر ودخل في طاعة البيزنطيين منذ العصور القديمة وسكنت المهمة عسكريا واقتصاديا واستقرت في المدن.[3]

وسبب تسميتهم بالأفارقة يذكر أنهم من ولد فارق بن بيصر وكان فارق قد حاز لنفسه من الأرض ما بين برقة إلى إفريقيا فبالأفارقة سميت إفريقيا، وكانوا يدينون بالنصرانية قبل دخولهم الإسلام وعرفوا بخدمتهم للروم البيزنطيين حيث أخذوا الكثير عنهم من العادات والتقاليد.[4]

---

[1] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص79، 80.

[2] بن حزم محمد، المصدر السابق، ص461.

[3] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص81.

[4] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، ج1، (د ط)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1961، ص248.

4-الروم:

وهم البيزنطيون اللذين سكنوا البلاد أنداك وكانوا حكاما لها ومع الفتح العربي الإسلامي اختفى الكثير منهم ولم يبقى منهم إلا جماعات قليلة كانت تقيم على السواحل والمدن، وكانوا يدينون بالنصرانية وبعدها دخلوا الإسلام من أجل المحافظة على أموالهم[1]، وأن موسى بن يحيى الرياحي المرداسي دخل مدينة باجة فملكها فأجمع على الرحلة إلى غزو افريقيا بعد طلب المشورة من الشيخ أبا حفص و أبا إبراهيم وغيرهما فوافقوه.

5-النصارى: كما سكن النصارى تونس أيضا فقد سمحت لهم الدولة الحفصية مزاولة النشاط التجاري في موانئها البحرية، إد حققت تلك التجارة أرباحا كبيرة للحفصيين، حيث مكنتهم من عدم استنزاف الأهالي بالضرائب كما مكنتهم من الاعتماد على عناصر من المرتزقة في الجيش، كان من بينهم النصارى الأوربيين وكان هؤلاء يمثلون وسيلة للسيطرة بالنسبة للحفصيين نظرا لإخلاصهم للسلطان وتفانيهم في القتال ومهارتهم في الحروب وامتلاكهم لأحدث الأسلحة،[2] وركب على متن سفينة حربية عددا من السادة ونبلاء القوم وعليتهم من الإسبانيين وفي ظرف يومين تم إقلاع الجيش كله.[3]

فنجد النصارى ينعمون بالحرية في العهد الحفصي وأصبحت لهم كنائس يمارسون فيها شعائرهم الدينية، وقد عملوا في الدولة ضمن المجتمع التونسي وذكر عن وجود فندق للنصارى بحاضرة تونس في العهد الحفصي أقاموا فيه كنيسة لممارسة طقوسهم الدينية، وهذا يدل على تسامح الدولة الحفصية مع النصارى.[4]

---

[1] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص82، 83.

[2] تمام محمد، المرجع السابق، ص14، 15.

[3] كربخال مامول، المصدر السابق، ج3، ص34.

[4] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص87.

وجعلوا عليها شيئا يشبه الصومعة فطلبوا بذلك فأتوا بكتاب العهد فوجد فيه أنه لا يقال بينهم وبين أن يبنوا بيتا لتعبداتهم واعتذروا عما فعلوه.[1]

كما دخل النصارى في الجيش الحفصي وسكن بعض جند النصارى في ريض باب المنارة والمعروف بحي النصارى حيث منحت لهم امتيازات واسعة منها إقامة شعائرهم الدينية إذ كانت أهم كنيسة تعرف بكنيسة القديس فرانسو، وسكن البعض الآخر منهم الجانب البحري في حاضرة تونس ويتكون من أصحاب المراكب والتجار الذين سكنوا الفنادق.[2]

وأخذت أعداد النصارى بالتزايد[3] فقد ذكر " عن وجود ألف وخمسمائة فارس جلهم من النصارى الذين اعتنقوا الإسلام"[4]. وكان أحد النصارى وهو يوسف الطبيب يعمل عند الأمير الحفصي أبو العباس أحمد(772-796ه/1370-1394م) ويعد من خواصه دخل الإسلام، وفي عهد الدولة الحفصية كانت الهدايا تتم بين الأمراء الحفصيين وملوك النصارى.[5]

واستقرت مجموعات مسيحية هامة بمدن إفريقيا الساحلية وخاصة تونس في فنادق خاصة بهم، وقد حرص المخزن على حمايتها لما توفره التجارة الخارجية من عائدات، وقد اعتنق الدين الإسلامي بعضهم والاندماج في المجتمع التونسي فلبست النساء مثل المسلمات بحاضرة تونس وبلغ عددهم سنة 1535م 2600ساكن وفي سنة 1550م ورد ذكر 3000 من بينهم.[6]

كما نجد أيضل قدماء الرقيق النصارى من الأصل الأوروبي اعتنقوا الإسلام منذ عهد قريب حيث كلن لهم دور كبير في الإدارة السلطانية، كما ساهموا في بعض الأنشطة الأخرى كما

---

[1] الونشريسي أحمد، المصدر السابق، ج2، ص215.

[2] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص87.

[3] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص88.

[4] ليون الإفريقي حسن، المصدر السابق، ج2، ص80

[5] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص88، 89.

[6] حسن محمد، المرجع السابق، ص154، 155، 156.

كان جواري المسلمين حتى لو بقوا مسيحيات كانوا يساهمن في نمو السكان المسلمين، عن طريق أبناءهن اللذين ولدوا على دين آبائهم.[1]

وتتمثل أهمية العنصر المسيحي في المجتمع الحفصي في أولئك العلوج الذي احتلوا مراكز القيادة في الجيش وقد تحصلوا على ثقة السلطان من خلال بقائهم في خدمتهم كما توجد فرق من الجند تتكون مرتزقة مسيحيين معظمهم من اسبانيا الذين شغلوا في القرن 9ه/15م حيا في ربض باب منارة يعرف بحي النصارى وبفصل معاهدات السلام التي وقعت بين السلطان الحفصي مع الحكومة الأوروبية أصبح لهم قناصل يمثلونهم أمام السلطة ينتخبون نمن بينهم أو يعينون من طرف الحكومة الأوروبية.[2]

6- الأندلسيون:

وأهم دفعة سكانية عرفتها حاضرة تونس تتمثل في قدوم المهاجرين الأندلسيين بعد سقوط مدنهم بلنسية وشاطبة ومرسيه وجيان وقرطبة وإشبيلية في النصف الأول من القرن السابع هجري، وبعدها جاءت دفع جديدة إثر سقوط غرناطة سنة 898ه/1492م.[3]

وأصبح هؤلاء الأندلسيون يشكلون مجموعة مهمة في حاضرة تونس وبينهم الأدباء وأصحاب الصناعات والتجار وغيرهم واستوطن الأندلسيون حيا خاص بهم يوجد في الجهة الشمالية الشرقية لحاضرة تونس.[4]

كان نزوح الأندلسيون إلى حاضرة تونس قليل في بداية الأمر لكن سرعان ما تزايد عددهم خاصة بعد سقوط إشبيلية سنة 646ه/1248م، وقد كان المهاجرون من أغنى العائلات استقروا في حاضرة تونس وتأقلموا في وقت قصير مع الوضع الجديد وقلدوا أعلى المناصب

---

[1] برنشفيك روبار، المرجع السابق، ج2، ص158، 161.

[2] الدولاتي عبد العزيز، المرجع السابق، ص90، 91.

[3] المرجع السابق، ص89.

[4] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص89.

في الدولة الحفصية وأصبحت لهم أحياء خاصة بهم مثل: حومة الأندلس قرب الخلفاوية، وزقاق الأندلس في الحاضرة.[1]

وذكر ابن الشماع خلال وصفه لحاضرة تونس أنه: " لما هاجر إليها أهل الأقطار من الأندلس... فكثر خلقها ورغب الناس في سكانها وأحدث فيها المباني."[2]

كما وصف المقري هجرة الأندلسيون قائلا: " وجمهورهم خرج بتونس."[3] من خلال هذا النص يتضح أـــن هجرة الأندلسيين كانت كبيرة جدا حيث ضمت أصحاب الحرف والمهن كما ضمت العلماء والفقهاء والأدباء نذكر منهم: ابن خلدون، ابن الآبار، ابن سيد الناس.[4]

وإثر وصول الأندلسيين الذين ساهموا في ازدهار حاضرة تونس ازداد تأثر السكان بالفن المعماري الأندلسي من خلال تصميمه نقشه وتجليزه.[5]

وقد استخدموا في خبرتهم المعمارية والزخرفية في أسلوب بناءاتهم الجديدة، كما فرض أصحاب الجاه والثروة منهم القصور والحدائق التي بنوها برأس الطابية وأبي فهر قرب القصور السلطانية.[6]

ومنذ القرن 7ه/13م، ظهرت أحياء خاصة بهم داخل تونس بزقاق الأندلس وفي الأرياض في حي الأندلس بجانب الخلفاويين.

---

[1] المرجع نفسه، ص89، 90.

[2] ابن الشماع محمد، المصدر السابق، ص36.

[3] المقري بن محمد أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إخسان عباس، مج4، (د ط)، دار صادر، بيروت، 1388هـــ/1968م، ص528.

[4] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص90، 91.

[5] بن عامر أحمد، المرجع السابق، ص76.

[6] الدولاتي عبد العزيز، المرجع السابق، ص89، 90.

كما توجد إشارات أخرى إلى تواجدهم بشرق المركاض وقرب باب خالد، كمات استوطن الأثرياء منهم في ضواحي حاضرة تونس مثل: رأس الطابية وحاولوا أن يعيشوا حياة الأندلس.[1]

ورغم عدم إشارة ابن خلدون إلى وجود بعض الحرفيين وأرباب الصناع وغيرهم من العامة الأندلسيين إلا أنه أشار إلى وجود جالية في الشرق الأندلس وغربه بحاضرة تونس، وخاصة وجود كتيبة من الجند تتكون من الجند الأندلسيين ساهمت في الحروب الصليبية التي واجهها المستنصر الحفصي ملك الإفرنج لويس التاسع سنة 668ه/ 1270م.[2]

ولم يقتصر نشاط الأندلسيين على الزراعة فحسب إذ شملت أيضا التجارة، كما برع الأندلسيين في الصناعات التقليدية ومن ذلك صناعة الشاشية ولهذا النشاط الصناعي توجد سوق خاصة صغيرة تعرف بسوق الشاوشين في حاضرة تونس قرب جامع الزيتونة.[3]

7-الأقباط ومسلمو صقلية:

من بين عناصر السكان الأخرى التي استوطنت حاضرة تونس الأقباط والتي ذكرتها المصادر أنه طلب الخليفة عبد الملك بن مروان(65-86ه/684-706م) إلى أخيه عبد العزيز بن مروان الذي كان واليا على مصر " أن يوجه على معسكر تونس ألف قبطي بأهله وولده، ويحملهم من مصر ويحسن عدتهم حتى يصلوا إلى ترشيش وهي تونس..."[4]

وقد بين أحد الرحالة تفاصيل أكثر بعد وصولهم قائلا: " فلما وصلوا إلى حسان أثبت كثير منهم في رادس وفرق باقيهم إلى مراسي إفريقية."[5] وقد استخدم الأقباط كأيدي عاملة حيث

---

[1] حسن محمد، المرجع السابق، ص152.

[2] ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج6، ص427.

[3] لشتاوي عادل سعيد، الأمة الأندلسية الشهيدة، (د ط)، لندن، 2000، ص377.

[4] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص92.

[5] التجاني عبد الله، المصدر السابق، ص6.

كانت لهم خبرة في صناعة السفن والمراكب مما جعل حسان بن النعمان يستعين بهم في هذا الجانب.[1]

فالعنصر التونسي عبارة عن مزيج من عناصر نشيطة مختلفة الأجناس أكثرهم في العدد البربر، فالأندلس وبقية عناصر الأقليات اندمجت في عناصر الأكثريات.[2]

وكان سلوك الأمراء نحو جميع سكان حسنا ولينا فقد قاموا بإلغاء عنهم الضرائب التي فرضت عليهم من قبل وأنشأ لهم الأمن والرخاء وعادت عليهم بالنفع وازدهر بها العمران.[3]

وقد عاشت كل هذه الأجناس في حاضرة تونس متعاونة فيما بينها أدت في النهاية أن تكون حاضرة تونس حاضرة للخلافة الإسلامية عاشت أزهر أيامها.[4]

و أصبحت حاضرة تونس حاضرة الحفصيين بفضل الأندلسيين و أم البلاد المغربية بلا منازع.[5]

فيقول ابن الشماع عن تونس: " وهي اليوم قاعدة البلاد الإفريقية وأم بلادها وحضرة السلاطين من الخلفاء الحفصيين، هاجر إليها أهل الأقطار من الأندلس والعرب وغيرهما فكثر خلقها

---

[1] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص92.

[22] بن خرجة محمد، صفحات من تاريخ تونس، تق وتح: حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1986، ص227.

[3] بن عامر أحمد المرجع السابق، ص74.

[4] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص93.

[5] عبد الله مسعود أحمد، الأثر الاجتماعي للهجرات الأندلسية إلى إفريقيا الحفصية خلال القرن السابع والثامن الهجري/ الثالث عشر والرابع عشر ميلادي، مجلة الأكاديمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد23، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم بدر، جامعة الزتنان، 2022، ص260.

واتسع بشرها ورغب الناس في سكانها، وأحدث فيها المباني والكروم والبساتين، حتى بلغ ذلك النهاية التي لا توجد في غيرها.[1]

المبحث الثاني: مظاهر حياة المجتمع الحفصي

من أهم مظاهر الحياة الاجتماعية في حاضرة تونس نجد:

أولا: السكن والبيوت:

إن جميع البناء كان من الحجر والآجر وبنيت الأسقف بالخشب وديار أكابر الناس بالرخام،[2] والرخام بها كثير وأكثر أبواب ديارها معمول به عضائد وعتبا،[3]

وقد كانت الديار التونسية مربعة الشكل، تتكون معظمها من طابق واحد وتطل غرفها على ساحة داخلية معمولة بالبلاط ومغطاة بسطح والنوافذ تكون منخفضة وكان فقهاء تونس يمنعون بعض الصناعات التي تشكل ضررا على الناس داخل بيوت ومنها الدباغة للمحافظة على نظافة الحاضرة.[4]

ومدخل المنازل جميل له بابين أولهما نحو الخارج والثاني يصل بالمسكن ويرقى إليه بسلم من بضع درجات وقد ازدادت الزخرفة الداخلية للبيوت بفضل المهاجرين الأندلسيين وكان لهم دور كبير في هذا المجال[5]، والسقوف مزدانة بالفسيفساء والجص بطريقة فنية عجيبة

---

[1] ابن الشماع محمد، المصدر السابق، ص36.

[2] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص100.

[3] مجهول، المصدر السابق، ص120.

[4] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص100.

[5] المرجع نفسه، ص100، 101.

مصنوعة بألوان زاهية، أما الحجرات فمنها مبلطة بمربعات لماعة ذات لون فاتح وكذلك ساحة الدار مبلطة.[1]

وبسبب هجرة أهل الأندلس إلى الحاضرة أدى إلى زيادة عدد المنازل في تونس إذ ذكر ـــأنه في سنة 772ه/1370م كان عدد البيوت نحو سبعة آلاف دار ومعظم ديار تونس حسنة المنظر[2]. ويصنفها العبدري بقوله: " فاقت بحسن مغانيها واتقان مبانيها غيرها من المدن".[3]

ففي رسالة أرخت سنة 1535 بعثها ألفونسو روسيتن إلى ذوق أست يذكر فيه: " أن المنازل بتونس صغيرة لكنها نظيفة ومنعشة وفخمة وهي مغروسة بالمرمر الأبيض والأسود.[4]

وتوجد مادة أخرى من مواد البناء استخدمت بكثرة في المنازل الحفصية هي: الحجارة المنحوتة برقة، وتبنى بها الواجهات ومعظم المنازل تبدو حسنة المظهر، وسندت بالحجارة المنحوتة نحتا جيدا.[5]

وفيما يتعلق بالتباليط فالغرف مازالت إلى يومنا هذا تبلط بالأجر المربع والمموه عكس الصحون تفرش عادة بألواح المرمر واللذان اللذين يستطيعان مقاومة تقلبات الطقس أكثر من الأجر، وبالنسبة لنوافذ كانت تزيد عن مستوى التباليط قليلا، كما كان يوجد حوض دائري وسط الساحة مع النافورة ليلطف الجو، وأخيرا تشكل السقيفة التي لها مدخل منعرج والمتعلقة ببابين داخلي وخارجي خاصية معمارية أخرى للمنازل الحفصية.[6]

---

[1] ليون الافريقي، حسن، المصدر السابق، ج2، ص77.

[2] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص101.

[3] العبدري محمد، المصدر السابق، ص109.

[4] الدولاتي عبد العزيز، المرجع السابق، ص 207.

[5] الدولاتي عبد العزيز، المرجع السابق، ص207.

[6] المرجع نفسه، ص 208–209.

ثانيا: مياه الشرب

تعتبر مياه الأمطار من المصادر لشرب سكان حاضرة تونس[1]، وعند وصف العبدري لحاضرة تونس قال: " ولو اتفق أن بها ماء جار لكانت معدومة النظر شرقا وغربا ولكن ماؤها قليل، وفي ديارها مصانع لماء المطر هو المستعمل عندهم."[2] وأهم الموارد المائية في تونس: المواجل والآجار وتوجد بئر كبيرة عذبة الماء وغزيرة تدعى ببئر أبي القفاز قرب باب السقائين.[3]

وفي حين يذكر أحد المؤرخين عن وجود بئر يسمى بئر طيبان وهو من أشهر آبار حاضرة تونس، كما اعتمدوا على المصانع التي يجتمع فيها ماء المطر،[4] ويذكر ياقوت الحموي خلال وصفه لحاضرة تونس أنها: " ليس بها ماء جار إنما شربهم من آبار ومصانع يجتمع فيها ماء المطر في كل دار مصنع وآبارهم خارج الديار من أطراف البلد."[5]

وقد كان يستخدم السكان الماء لأغراض أخرى فقد ذكر " وبيوتها صهاريج يجمع فيها ماء المطر لغسل القماش ونحوه".[6]

كما كانت السلطة تهتم بتوفير المياه إلى الحاضرة وسكانها إذ قام الخليفة أبو عبد الله المستنصر(647-675ه/1249-1277م) بإصلاح الحنايا الرومانية القديمة وأصل الماء إلى جامع الزيتونة،[7] وفي هذا قال أحد الرحالة: "وأما الساقية المجلوبة من ناحية زغوان فقد

---

[1] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص102.

[2] العبدري محمد، المصدر السابق، ص110.

[3] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص102.

[4] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص نفسها.

[5] الحموي بن عبد الله ياقوت، معجم البلدان، مج2، (ط د)، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، ص60.

[6] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص 110.

[7] االمرجع نفسه، ص103.

استأثر بها السلطان وجنابه إلا رشحا يسير سرب إلى الساقية بجامع الزيتونة ليشرب منها في أنابيب من رصاص ويستقي منها الغرباء ومن ليس داره ماء ويكثر عليها الازدحام.[1]

ومن أعمال السلطان أبو فارس عبد العزيز(796–837ه/1394–1434م) بناؤه للماجل بمصلى العيدين في حاضرة تونس وأخرج منه طريقين أحدهما لشرب الناس والآخر لمن يرده بقربة ونحو ذلك.[2]

ثالثا: طعام أهل تونس

كانت معظم الأطعمة المعروفة أنداك بسيطة ولم تكن متنوعة ويتميز سكان تونس بطعامهم المعروف بالكسكسي وهو طعام يصنع من السميد الذي يطبخ بالبخار وفيما بعد يسقى بالحليب والسمن أو المرق وفي بعض الأحيان يضاف له اللحم.[3]

كما عرف أهل تونس طعاما آخر يدعى بسيارا تتكون من فول مقشر يطبخ جيدا ثم يعصر بواسطة ملعقة خشبية ثم يضاف إليه الكثير من الأفاوية والأبزار وبعدها توضع في صحن ويوضع ليتجمد[4]، أما فيما يخص البسيس هو دقيق الشعير يمزج بكمية قليلة من الماء ويضاف الزيت أو عصير البرتقال أو الليمون، ويحتسى هذا العجين نيئا ولهم طعاما آخر اسمه البازين، ويصنع من عجين خفيف ويطبخ في الماء وعند نضجه يعجن في إناء ويجمع ثم يضاف إليه الزيت أو مرق الحم.[5]

ويقول أحمد بن عامر: " أنه ذات يوم دعي إلى الضيافة بمكان من أجنة تونس من بين هذه الضيافة مأكولا يقال له المجينة من مأكولات الأندلس فهو جبن طري يدلك باليدين يصبح

---

[1] العبدري محمد، المصدر السابق، ص110.

[2] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص103.

[3] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص103، 104.

[4] المرجع نفسه، ص104.

[5] ليون الافريقي حسن، المصدر السابق، ج2، ص76.

كالعجين، ثم يعجن السميد عجنا جيدا حتى يصير مثل عجين الزلابية ثم يؤخذ منه قطعة تبسط بلطافة ثم يوضع عليها قطعة من الجبن المدلوك ويجمع حتى يصير حشوا لها، ثم يبسط ويلقى في الطاجين فيدهن فيقلى ويرش عليه السكر الناعم والكمون.[1]

والخبز في حاضرة تونس أبيض جيد لأنه يصنع من لباب الدقيق، ويعيد طحنه مرة أخرى في أرحاء وبذلك يكون الخبز في غاية الجودة ويعتبر الأكل العادي لكل فرد على درجة من اليسر، أما عامة الناس فكان أكلهم من دقيق الشعير الذي يعجن ويطبخ في الماء ويعمل في قدور ويتناول بعد غمسه في الزيت أو السمن ويتناول أهل تونس التمر[2]، وفي هذا يقول الزهروي: " وينتهي التمر عندهم إلى أكثر من عشرة أجناس لا يشبه بعضه بعضا لا في النعت ولا في الطعم وهو أكثر طعامهم."[3]

وفيما يخص الحلوى فتصنع عندهم الغسانية من السميد والعسل والزعفران وأيضا أنواع من الكعك[4]، كما يتحدث أحمد بن عامر أيضا أنه أكل في منزل أحد الأهالي بالبادية خارج حاضرة تونس مرطبات تصنع من الدقيق والعسل والزيت والزبيب.[5]

رابعا: الملابس

كان اللباس المميز عند إفريقيا لكل الطبقات يدعى البرنس وهو معطف يتصل بغطاء على الرأس ويصنع من القماش الخشن أو الرقيق وله عدة ألوان،[6] أو فيما يخص لباسة عامة

---

[1] بن عامر أحمد، المرجع السابق، ص138.

[2] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص104.

[3] الزهري محمد، المصدر السابق، ص107.

[4] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص105.

[5] بن عامر أحمد، المرجع السابق، ص139.

[6] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص105.

إفريقيا كان من الجوخ ومن ثياب الصوف ومن الأقبية ومن ثياب القطن ويجلب من الإسكندرية والعراق.[1]

وأن لباس الصوف كان لباس العامة من الناس، فشاع استعماله في إفريقيا إذ ارتاه القادة الأمراء وكان المولى أبو زكريا يحيى (625-647ه/ 1228-1249م) يلبس جبة صوف وحزام صوف ويلبس أهل تونس ثياب من الكتان التي تعمل في تونس حيث تضاهي ثياب الحرير ويصدر منها إلى المناطق الأخرى، [2]" وأهل تونس على جانب كبير من الطيوبة واللياقة يرتدي الصناع والتجار والفقهاء وجميع من يتقلد وظائف لباسا ممتازا، ويضعون على رؤوسهم عمامة مكسوة بقماش طويل"[3] كما تصنع في تونس العمامات الرقيقة وتسمى بالعمامات التونسية.[4]

وكان لباس السلطان الخز ولونه يميل إلى الخضرة والسواد وينسج منه ثياب مختمة وغير مختمة ويعد من أفخر ثياب السلطنة في تونس وفي حين كام لباس الفقهاء القميص والسروال، فضلا عن عمامة تكون أصغر في الحجم من عمامة السلطان وجبة مصنوعة من قماش الجوخ أو الصوف أو من الصوف والقطن معا[5]. وفيما يخص لباس رجال النصارى فكانوا يلبسون المبطن والبرنيطة.[6]

وفي أوسط القرن 7ه/13م حكى لنا أن أحد السياح السويسريين أن العمامة الخضراء بتونس كانت من الأشياء الملفتة للأنظار لكثرة انتشارها بين أهل تونس وقد تراجع أمرها شيئا فشيئا

---

[1] القلقشندي أحمد، المصدر السابق، ج5، ص143.

[2] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص106.

[3] ليون الافريقي حسن، المصدر السابق، ج2، ص75.

[4] الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص106.

[5] المرجع نفسه، ص107.

[6] ابن أبي دينار محمد، المصدر السابق، ص159.

حتى صارت من الألبسة النادرة في الأوساط المعروفة بصحة النسب الزكي وهذا في بداية القرن 8ه/14م.[1]

كان الأمراء الحفصيون يضعون العمامة المطرزة بالحرير بجانب آذانهم اليسرى ويتركون شعورهم مترسله تحت العمامة، كما كان البعض منهم يطيل في الحيت.[2]

وبالنسبة إلى زي النساء فقد ذكر أن ثيابهم من الحرير من القطن التي تلبس عادة في فصل الشتاء، وكانت المرأة تلبس الخف والجوارب ،[3]وفي هذا الجانب يقول الوزان حسن (أن السيدات التونسيات يرتدين لباسا حسنا ويتأنقن في زينتهن، ويسترن وجوههم عندما يخرجن بوضع خمار سفساري، وعصابة عريضة جدا يعصب بها جبابهن.[4] وكانت تهتم المرأة التونسية بزينتها وعطرها كما تهتم بالمجوهرات والحلي البسيطة ومنها نجد الخواتم والخلاخيل والأقاريط التي كانت مصنوعة من الذهب والفضة.[5]

وفيما يخص لباس المرأة اليهودية في تونس فكانت ملابس مطرزة بأشكال زخرفية وقد ذكر أن جزء من النساء النصارى ينسترن كالمسلمات غالبا بدون علامة وجزء منها يلتزم بلباس النصارى، وأن السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان(839-893ه/1435-1488م). عندما كان يستدعي زوجات جنوده النصارى للمناسبات العائلية كان يشترط عليهن أن يلبسن لباس المسلمات.[6]

---

[1] بن خوجة محمد، المرجع السابق، ص230.

[2] عبد الله مسعود أحمد، المرجع السابق، ص266.

[3] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص107.

[4] ليون الافريقي حسن، المصدر السابق، ج2، ص107.

[5] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص108.

[6] المرجع نفسه، ص108.

خامسا: الأعياد والاحتفالات

لقد كان لأهل تونس حاضرة تونس احتفالات يقومون بها كغيرها من المدن الإسلامية الأخرى ومعظم الاحتفالات كان يغلب عليها الطابع الديني، كما مانت هناك احتفالات اجتماعية يقومون بها،[1] وقد وصف ابن بطوطة العيد في حاضرة تونس، قائلا: " وأطلين بتونس عيد الفطر فحضرت المصلى وقد احتفل الناس لشهود عيدهم وبرزوا في أجمل هيئة وأكمل إشارة ووافى السلطان أبو يحيى راكبا وجميع أقاربه وخواصه وخدام مملته مشاة على أقدامهم في ترتيب عجيب وصليت الصلاة وانقضت الخطبة وانصرف الناس إلى منازلهم.[2]

وكانت مدة عيدي الفطر والأضحى عندهم خمسة عشر يوما تغلق أثناءها الأسواق ويستعملون أنواعا كثيرة من الأطعمة الفاخرة والحلويات اللذيذة.[3]

ومن مظاهر الاحتفال بالعيد في حاضرة تونس يتجمع الفرسان في إحدى الساحات أمام القصبة ويتبارزون بالرماح كما يستعملون فيها أنواع من الأطعمة الفاخرة ولهم فيها أخباز خاصة.[4]" فالخبز المعلوم في أعيادهم لم ير مثله في المعمور ويتفاخرون بعظمه وتفاوته، حتى أن الرغيف الواحد لو وضع بين جماعة من الناس من عشرين فصاعدا لكفاهم ويطول مكث هذا الخبز إلى نحو شهر أو أكثر وهو في غاية الحسن."[5]

– ولسكان حاضرة تونس أيام معروفة يعظمونها ويحتفلون بها، فمنها ليلة النصف من رجب، وليلة السابع والعشرين منه، وليلة النصف من شعبان، وليلة السابع والعشرين منه، كذلك شهر رمضان الكريم كانوا يحتفلون به غاية الاحتفال، ويتم ختم المصحف في المساجد في

---

[1] المرجع نفسه، ص109.

[2] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص168، 169.

[3] بن عامر أحمد، المرجع السابق، ص78.

[4] الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص109.

[5] ابن أبي دينار محمد، المرجع السابق، ص288.

صلاة التراويح، كما أن أهل تونس يحتفلون باليوم العاشر من شهر محرم، وكذا احتفالهم بالمولد النبوي الشريف، اذ كانوا يعظمونه، وتوقد القناديل وتسرج الشموع، ويحتفلون به غاية الاحتفال[1].(وذلك لأجل محبتهم كتب ولد فيه وهو سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم، وأول من أعتنى بتعظيمه في البلاد الغربية وأظهر فيه شعائر الولادة المحمدية السلطان أبو عنان المريني، ثم اقتدى به بنو أبي حفص في الديار التونسية).[2]

ويتناولون أثناءه أفخر الأطعمة، وفي ليلته يتكون الأشعار والأناشيد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.[3]

فكان موسم المولد في زمن السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز، مظهرا للزينة والصدقات وخاصة احياء ليلته بتلاوة القرآن الكريم، والأناشيد، وقصائد المديح للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان أيام المولد يجمعوا الصبيان الكتاتيب لقراءة قصيدة الامام البصيري، وقد رتبوا لهم في مقابل ذلك منحة مازالت موجودة الى الآن.[4]

– ومن مظاهر الاحتفالات الاجتماعية، فقد ذكر لنا أحد المؤرخين زواج ابن السلطان الحفصي أبو عمر وعثمان (339–893 / 1435–1488م)، ولي العهد محمد المسعود في 20 ربيع الثاني 854ه/1450م من ابنة عمه، وكان احتفالا كبيرا،[5] وأطعم في العرس المذكور بالقصبة سكان الحاضرة من غرة ربيع الأول الى يوم البناء، ثم أعطى قرب البناء لسكان ربفى باب السويقة ستين رأسا بقرا، وستين قفيزا قمحا، وكذلك الأهل ربفى باب الجزيرة.[6]

---

[1]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص110.

[2]– ابن أبي دينار محمد، المصدر السابق، ص290.

[3]– بن عامر أحمد، المرجع السابق، ص79.

[4]– بن خوخة محمد، المرجع السابق، ص236.

[5]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص110.

[6]– الزركشي محمد، المصدر السابق، ص144–145.

سادسا : العادات والتقاليد

كان لأهل حاضرة تونس عادات وتقاليد مثل بقية المدن الاسلامية الأخرى يمارسها، وتتعلق بالأطعمة والزواج والاحتفالات، أو الأمور الأخرى، فكانت عاداتهم وتقاليدهم الخاصة بالأطعمة، فقد ذكر أن هناك أخبار تخص المواسم مثل: الخبز المبسس يقدم في العيد وعاشوراء، كما كانت بعض الحداث العائلية مثل: طعام العصيدة كانت تصنع من دقيق الحنطة والزبدة والعسل، وتقدم للمرأة بعد الولادة، وارتبطت بعد ذلك بالاحتفال التقليدي، وهو العقيقة، أي قص شعر الولد.[1]

وكانت الواثق بن المنتصر لما قتل هو وبنوه، تزوج احدى جواريه، وقد حملت منه الى رباط هذا الولي ووضعته في بيته، فسماه الشيخ عنه وأطعم يومئذ الفقراء عصيدة الحنطة، فتلقب بأبي عصيدة الى آخر الزمن.[2]

– كما يستعمل سكان تونس، الدويدة التي تصنع من فتائل العجين، ولحم الدجاج، وتقدم يوم التاسع من عاشوراء، وتشتهر حاضرة تونس من الحلوى يعرف بالمقروض، اذ يصنع من السميد والتمر والعسب والبهارات، ويقلى بالزيت، ويتم تقديمه في الأعياد والمناسبات[3]، وقال دينار عنه(وهو أطيب حلاوتهم وليس بعده شيء).[4]

– وفيما يخص الزواج، فيقتصر عرب المغرب على زوجة واحدة، وأيضا من العادات والتقاليد عندهم التبرك بالأولياء والصالحين، فقد ذكر أن (حاضرة تونس بها قبر المؤدب محرز، يقسم به أهل المركب اذا هاج البحر، ويحمل من تراب قبره معهم).

---

[1]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص11.

[2]– ابن الشماع محمد، المصدر السابق، ص83.

[3]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص111.

[4]– ابن أبي دينار محمد، المصدر السابق، ص288.

وفيما يتعلق بختان الطفل، فقد كانت تقام له احتفالية خاصة به، حيث يرتدي الطفل المراد ختنه لباس فاخر ومطرز.[1]

– وقد أشار كربخال الى مشكلة كثرة الطلاق، وتعدد الزوجات في بعض الجهات التونسية، وانما في مثل تلك الظواهر كان سببها الجهل بأحكام الشريعة الاسلامية، وتساهل بعض المتفقين، ووجدت هذه المسألة في المجتمع التونسي خلال القرن 9ه/15م.[2]

وكان الرجال لا يكادون يكفون عن القاتلة، بسبب النساء اللائي يتطلقون ليتزوجن من جديد.[3]

– كما أشار كربخال الى حرص التونسيين على السلوك الصحيح، ورفض لكل مظاهر الانحلال الاجتماعي والغير أخلاقي، بدليل كربخال على ذلك، من خلال أن أهالي حاضرة تونس كانوا يستقبلون الضيوف والأصدقاء، ويجبرون على معاملاتهم في منازلهم، ويتجنبون ادخال الرجال الى الدار، حيث توجد النساء هناك.[4]

وأرسل أحد أمراء تونس ولدا ثالثا عاملا عليها، ولكن الناس قتلوه بسبب ما كان عليه من عهر ولرذيلة.[5]

– واتضح من خلال ما أورده كربخال اعتناء أهل تونس بنظافتهم الشخصية، فانتشرت الحمامات في بعض المدن ومنها: حمامات حاضرة تونس التي اشتهرت بأنها أكثر راحة من حمامات مدينة فاس في المغرب الأقصى، فكانت الحمامات محط اعجاب الرحالة، وكانت هناك حمامات خاصة بالنساء، وأخرى للرجال، وكانت حوانيت العطارين تغلق ما بعد

---

[1]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص112.

[2]– تمام محمد، المرجع السابق، ص26–27.

[3]– كربخال مارمول ، المصدر السابق، ج3، ص16.

[4]– تمام محمد، المرجع نفسه، ص28.

[5]– كربخال مارمول، المصدر نفسه، ص12.

منتصف الليل ولأن النساء يذهبن للحمام في الليل، ومن بعدها يشترين أغراضهن من الحوانيت.[1]

وكانت بتونس بعض دور الاستجمام، حيث كان ملوك تونس يخرجون اليها للاستمتاع بهواء الصيف.[2]

المبحث الثالث: مشاكل المجتمع الحفصي:

بعد النظر عن تلك الأسباب الداخلية التي كانت تؤثر على تطور المجتمع الحفصي خاصة مجتمع المدن، هناك أسباب خارجية صعبة لم يستطع الافريقيون مواجهتها هي: الحروب والمجاعات والأوبئة التي تحدث دوريا، مخلفة خسائر كبرى بين المجتمع الحفصي، لكن المصائب الأكثر خطورة هي: القحط العام، والأوبئة، والحروب التي ضربت جميع السكان.[3]

– وقد عرف ابن خاتمة الأندلسي الطاعون بكونه:(مرض عام للناس، قتال غالبا عن سبب مشترك).[4]

– ويعد الطاعون أشد الجوائح الطبيعية، ولا يبدو أن النوع الذي اجتاح تونس سنة 657ه/1251م، والذي هلك الناس منه، ومن بينهم كان الخليفة المستنصر الذي مرض به لبضعة أيام، كان طاعون عنيف بالمقارنة مع الطاعون الجارف الذي انتشر في البلاد سنة 749ه/ 1348م وفتك بالناس[5]، وقد خلف لنا ابن خلدون في وصفه مشهدا مؤثرا حيث قال:(نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم وذهب بأهل الجبل، وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحالها وجاء للدول على حين هرمها،

---

[1]– تمام محمد، المرجع السابق، ص28–29.

[2]– كربخال مارمول، المصدر السابق، ص61.

[3]– الدولاتلي عبد العزيز، المرجع السابق، ص93.

[4]– حسن محمد، المرجع السابق، ص606.

[5]– الدولاتلي عبد العزيز، المرجع نفسه، ص93.

وبلوغ الغاية من مداها، فقلص من ضلالها، وفل من حدها، وأوهن من سلطانها، وتداعت الى التلاشي والاضمحلال أحوالها، وانتقض عمران الأرض بانتقاض البشر، فخربت الأمصار والمصانع).[1]

– ففي تونس قدر عدد الموتى بالمئات، كما احتلت الحاضرة في هذا الظرف من طرف أبي الحسن المريني، وقد تفرق معظم كبار العلماء، وفيما يخص عائلة ابن خلدون وذويه، اذا شاهد هلاك أبيه وأمه، ومعظم أصدقائه وشيوخه، حيث هجر افريقية واستقر بالبلاط المريني بفاس.[2]

– وطاعون الذي وقع سنة 748ه شمل كامل بلاد المغرب، بمدنها وأريافها، (وعم الموتان أرض افريقية بأسرها، جبالها وصحاريها ومدنها، وجافت من الموتى وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها... وماتت المواشي بأسرها) وفي سنة 758ه/1453م حل الوباء بتونس، حيث انتقل السلطان الحفصي الى توزر ليكون في مأمن من الوباء، وبالتالي كانت البلاد الساحلية وخاصة تونس أكثر تضررا، نظرا لارتفاع الكثافة السكانية بها، وقد عدد الموتى بالحاضرة ألف شخص يوميا.[3]

– كانت هذه الاوبئة القادمة من الشرق تكتسح شمال افريقيا، من موجات دورية قدرت بخمس عشر أو عشرين سنة، ومن الاوبئة الثمانية والتي وقعت منذ منتصف القرن الثامن الهجري الى نهاية القرن التاسع الهجري، كان أشدها فتكا ذلك القرن الثامن الهجري الى نهاية القرن التاسع الهجري، كان أشدها فتكا ذلك الذي حدث سنتي 872–873ه/ 1468–1469م، حيث كان سكان الحاضرة يموتون بالعشرات، وقد ذكر بعض المعاصرين أن عدد الموتى وصل الة ألف شخص خلال يوم واحد.[4]

---

[1]– ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، الجزء1، ص51.

[2]– الدولاتلي عبد العزيز، المرجع السابق، ص94.

[3]– حسن محمد، المرجع السابق، ص610–611.

[4]– الدولاتلي عبد العزيز، المرجع نفسه، ص94.

بدأ الوباء بتونس وتزايد في شوال عام ثلاثة وسبعين حتى وصل الى ألف يوميا ثم ارتفع في ذي الحجة مكمل العام[1]، وقد أدى الطاعون الذي انتشر بالحاضرة سنة 889ه/1493م بحياة الكثير من السكان، من بينهم السلطان، وبعض أقاربه وحاشيته.[2]

– إضافة الى هذا الوباء كان القحط الدوري، ومع أن القحط حدث أكثر من الطاعون الا أنه كان أقل ضررا منه، اذا تسبب في المجاعات الاتي تعقب سنوات الجفاف، أو تغريب البدو، ويضر بأهل الريف أكثر من سكان المدن على عكس الأوبئة، ففي تونس خاصة الحاضرة كان السلطان يقدم الى الضحايا الأغذية والطعام، ويستورد الحكام القمح والشعير من الأقطار الأوربية عن طريق التجار الايطاليين[3]، وأصحاب سكان بتونس غلاء في الطعام، اذ بلغ قفيز القمح أربعة دناني ذهبا، والشعير على الشطر من ذلك.[4]

– وقد تسبب الجفاف في كوارث خفيفة، اذ انعدم المنتوج الزراعي، حيث لجأ المزارعون الى التسلف على أمل ارجاعه في السنة الموالية، مما يفسر مبادرتهم بالحصاد قبل بلوغ وقت الزرع، كما حدث بإفريقية سنة 679ه/1280م،عندما أجبر الناس على أكل القمح وهو فريك[5]، ثم عدم في سنبلة، فاذا حصد جمعت الأغمار ولم يوجد فيها شيء، فأكل كل البقر الزرع فتلف، وكان ذلك في كامل بلاد إفريقية.[6]

– وقد أخبرنا الزركشي أن السلطان قام بتوزيع الخبز في تونس بسبب القحط الذي عرفته افريقية منذ أوائل سنة 862ه/1457م، وكان ذلك بعد موسم الحصاد، حيث انعدمت المؤن في الحاضرة، وقدر سعر القمح أربعة دنانير، وسعر الشعير دينارين، وقد اشتكى الناس الى

---

[1]– الزكشي محمد، المصدر السابق، ص158.

[2]– الدولاتلي عبد العزيز، المرجع نفسه، ص94.

[3]– الدولاتلي عبد العزيز، المرجع السابق، ص94.

[4]– الزركشي محمد، المصدر السابق، ص150.

[5]– حسن محمد، المرجع السابق، ص604.

[6]– الزركشي محمد، المصدر نفسه، ص45.

السلطان حيث أمر بفتح المخازن، ليضع ألف خبزة توزع على الفقراء، وقد ابتدأت هذه العملية سنة 862ه/1458م، ودامت حوالي ثلاثة أشهر، حيث امتلأت الأسواق واعتدلت الأسعار.[1]

– وقد أصاب العمران ماحل بالعباد والاقتصاد، فحلت المنازل، وخربت عدة قرى وخاصة بالمدن الساحلية، ولم يقتصر الأمرع على القرى انما كان المشهد العمراني أكثر تأثيرا بالمدن، فقد تحولت بعض الأحياء والأرض الى خرائب، كما هلك عدد كبيرا من الحرفيين فانحسرت المهن والضائع داخل المدن، ودمرت المزارع والعزوس، فقد اقترت الطاعون بالجوع، فقد زاد الغلاء سنة 749ه أي بعد سنة من دخول الوباء، اذ بلغ قفيز القمح ثمانية دنانير وأصبحت افريقية تشكو من نقص في عدد المزارعين وعمال الفلاحة، وظل الأمر على هذا الحال حتى نهاية العصر الوسيط[2]، اذ ذكر الوزان مثال على ذلك(فالقصة أصبحت أراضيها غير مزروعة، كما أضحى عدد الناس ببادية باجة لا يكفي للزراعة، حتى أهملت كثيرا من الأراضي وأصبحت بورا).[3]

– أما فيما يخص الحروب، فقد عرفت تونس العديد من الحصارات والاحتلالات خلال ثلاثة قرون ونصف من حكم الحفصيين، حيث كان من نتائجها: أنه فقد عدد كبير من السكان خاصة أولئك الذين كانوا في خدمة السلطان بصفة مستمرة، أو من كانت لهم حرف وأحياء داخل الحرس المدني، فهؤلاء ساهموا في حماية أنفسهم والحضارة، خلافا لما أدعاه ابن خلدون أن ضعف وسائل الدفاع عن الحضارة كانت أحد الأسباب في الخسائر الفادحة حاصة عندما تخلى عن الحاضرة مدافعيها بعد مقاومة طويلة.[4]

---

[1]– الزركشي محمد، المصدر نفسه، ص150.

[2]– الوزان الحسن، المصدر السابق، ص150.

[3]– حسن محمد، المرجع السابق، ص612.

[4]– الدولاتلي عبد العزيز، المرجع السابق، ص95.

– ومن أشد المحن على المجتمع التونسي، محن الحروب والحصار العسكري، من خلال ما ذكره كربخال بأن أحوال تونس عامة قد تأثرت من الغزو الاسباني عام 1535م، وكان من نتائجه: القضاء على الكثير من المعالم الحضارية لتونس بحمل الذخائر والكنوز الفنية مثل حمل بعض أسوارجا مع الزيتونة الى اسبانيا، وحرق واتلاف جميع المخطوطات الموجودة بجامع الزيتونة، كما تأثر عمران الحاضرة وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بعد أن كانت في فترة رخاء وقوة العصر الحفصي.[1]

– وعندما قام شارلكان بغزو تونس، كانت ماتزال أطلال بنايات عالية عظيمة، وقصور بنيت من المرمر الأبيض قد رجعت الى خراب.[2]

– كما أشار كربخال الى غزوة شار لكان لتونس، وتشير المصادر المعاصرة لأحداث الغزو، أنه نتيجة هذا الغزو هاجر سكان تونس من الحاضرة، وبعد غزو الحاضرة وقد عاث أتباعه في الحاضرة فسادا، وعندما غزا شارلكان حاضرة تونس شوهدت أطلال بنايات مرتفعة عظيمة، وقصور تحولت الى خراب، كما أن السكان هجروا من جنانهم وبساتينهم[3]، وأقر كربخال بالخراب الذي حل بحضارة إفريقية فيقول: (حاضرة كبيرة دمرها في عصرنا هذا شارلكان).[4]

– وعندما وصلت أخبار توجه قوات الحملة الاسبانية على حاضرة تونس، انسحب معظم السكان من تونس والتحقوا بالجبال والجهات المجاورة، حاملين معهم بعض أمنعتهم، ولما وصل شارلكان وجنوده أحد أبواب حاضرة تونس وهو باب درب الحضرة، وعد قادته بأن

---

[1]– تمام محمد، المرجع السابق، ص35–36.

[2]– كربخال مارمول، المصدر السابق، ج3، ص19.

[3]– تمام محمد، المرجع نفسه، ص36–37.

[4]– كربخال مارمول، المصدر نفسه، الجزء3، ص70.

يبيح لهم نهب الحاضرة، وعندما علم الجند النصارى من سقوط حصن حلق الوادي فتحو الأبواب لرفاقهم.

– وقد صور لنا كربخال المأساة التي حلت بحاضرة تونس وأهلها بقواه:(فوقع اقتحام الحاضرة، وارتكب في نهبها ما هو معهود في مثل هذه الصدمات من القساوة والانتهاك) وفي الجهة الأخرى من الحاضرة كان الحرس الاسبان وبعض الفرسان يعيثون فسادا[1]، وصور لنا كربخال تلك المأساة بقوله:(فكنت ترى هناك أكواما ضخمة من حيث النساء والأطفال، وقد اختنقوا أو ماتوا بالعطش).[2]

– فمن بين سكان الحاضرة الذين بلغ عددهم حوال 100 ألف ساكن، خرج ما يقرب من 60 أو 70 ألف الى جبل الرصاص للاختباء من جيوش شارل الخامس، لكن ألقي على الكثير منهم القبض وهم في الطريق، كما كان مصير الذين بقوا داخل الأسوار القتل، حتى أن شارل الخامس لم يتحمل الروائح الكريهة التي تنبعث من جثث الموتى التي في الطرقات، فانتقل بعسكره من القصبة الى رادس، ومما زاد من حجم الأزمة، فرار ثلاثة آلاف سجين مسيحي من سجون القصبة، وانضمامهم الى ثمانية آلاف من الأسرى الموجودين بالحاضرة، ومساعدتهم على الثورة احتلال الحاضرة، مما اقتحم جيوش الامبراطور الحاضرة بدون مقاومة.[3]

– أما أحداث 981ه/1573م، فقد قارنها أحد الاسبان المرافقين لحملة دون خزان النمسا بتهديم بيت القدس، وقد دام هذا التخريب حسب قول هذا المؤلف سبعة أشهر وستة أيام، حيث خضعت الحاضرة الى عمليات تهديم منتظمة، رغم الأحكام القاسية التي أصدرتها السلطة في حق الاخريين، ولا يعود هذا التخريب الى عامل الحقد والانتقام فحسب بل كان مقصد هؤلاء

---

[1]– تمام محمد، المرجع السابق، ص37–38.

[2]– كربخال مارمول، المصدر السابق، ج3، ص54.

[3]– الدولاتلي عبد العزيز، المرجع السابق، ص95.

الغنائم، فكانوا يقومون بعمليات السلب والنهب في الليل والنهار، فيبحثون عن المخابئ التي كانوا يعتقدون أن السكان قد أودعوا فيها الكنوز[1]، وبعد هذه الموجة الأولى سادت فترة هدوء، حيث رجع السكان الى منازلهم واستعادوا ما تبقى لهم، وخلال هذه الفترة تفطن الاسبان الى وجود مخبئات (مما دفعهم الى الامعان في التهديم) حتى وصلوا الى نهب جامع الزيتونة كما خرب جامع يقع قرب باب السويقة، ولم يبقى منها الا معظم نسيجها العمراني، وبقايا من أسوارها والجامع الأعظم، وبعض المباني العمومية.[2]

– وبعد أن استبيحت الحاضرة للنهب ثلاثة أيام، أخد الجنود النصارى يرتكبون كل أنواع المحرمات، اذ هدموا المساجد وحرقوا ومزقوا معظم الكتب النفسية والغريب أن استباحة تونس كان من بنود معاهدة الخزي والعار التي وقعها السلطان الحفصي أبو عبد الله مع الامبراطور شارلكان، ونتج عن ذلك البند: أن سمح للجيش الاسباني بنهب الأهالي وتقتيلهم لمدة ثلاثة أيام متتالية، وكان قبول السلطان الحفصي لتلك الشروط المخزية سببا في ثورة السكان عليه، فخلفه ابنه أحمد أبو العباس الثاني.[3]

فحدث اقتحام الحاضرة، وارتكب في نهبها ما هو معهود من القساوة والانتهاك.[4]

– كما عانى التونسيون من مشاكل الضرائب الباهظة، التي فرضها الحفصيون على السكان في عهد الحكام الأواخر للدولة الحفصية وبرهن كربخال على ذلك ما فرضه مولاي الحسن الحفصي على أهالي القيروان من ضرائب أثقلت كاهل السكان، وأصابتهم بحالة من التذمر والسخط على الحكام الحفصيين والسلطنة الحفصية.[5]

---

[1]– المرجع نفسه، ص96.

[2]– الدولاتلي عبد العزيز، المرجع السابق، ص96–97.

[3]– تمام محمد، المرجع السابق، ص38–39.

[4]– كربخال مارمول، المرجع السابق، ج3، ص54.

[5]– تمام محمد، المرجع نفسه، ص39.

– فكانت الضرائب في عهد موﻻي الحسن تثقل كاهل السكان، ولعل السخط على الحكام الحفصيين هو الذي دفعهم لدخول الحامية التركية الى تونس، عند استيلاء خير الدين بربروس على الحاضرة.[1]

خاتمة:

إذن يمكن القول أن كل هذه الأجناس عاشت في حاضرة تونس متفاوتة فيما بينها أدت في النهاية أن تكون حاضرة تونس حاضرة الخلافة الإسلامية، كما تطورت جميع مظاهر المجتمع التونسي من سكن وطعام أهل تونس والملابس وغيرها وفي المقابل تعرض المجتمع الحفصي للعديد من المشاكل مخافة خسائر كبرى بين هذا المجتمع.

[1]– كربخال مارمول، المصدر نفسه، الجزء3، ص98.

الفصل الثالث

الأوضاع الثقافية في حاضرة تونس

(7-10هـ/13-16م).

مقدمة:

لقد نشطت الحركة الثقافية في حاضرة تونس وخاصة خلال القرن (7-10هـ / 13-16 م) و تقدمت تقدما كبيرا، وظهرت العديد من المؤسسات التعليمية والدينية عملت على نشر الثقافة وازدهارها في العهد الحفصي ، و برز أعلام كثيرون بإنتاجهم العلمي الوفير .

لقد أصبحت مدينة تونس حاضرة البلاد التونسية في عهد الدولة الحفصية (634-981هـ /1297-1573 م) في المغرب الأدنى واستمرت حاضرة متطورة حتى عام 921هـ / 1573 م، وظلت كذلك إلى منتصف القرن السادس عشر حين استولى عليها الأتراك العثمانيين وأصبحت مند عام 982 هـ / 1524 م تابعة لهم .

المبحث الأول: عوامل ازدهار الحياة العلمية بحاضرة بين حفص.

لقد نشطت الحركة الثقافية في حاضرة تونس وخاصة خلال القرن 7-10ه/13-16م وتقلصت تقدما كبيرا وبرز أعلام كثيرون بإنتاجهم العلمي الوفير والسؤال المطروح ماهي عوامل ازدهار الحياة العلمية بحاضرة بني حفص؟.

1- تشجيع الأمراء الحفصيين للعلماء ورعايتهم: وقد كان لتشجيع الخلفاء والأمراء الحفصيين الدور الكبير في نشر العلم وتطور الحركة العلمية، فقد ذكر أن الأمير أبي محمد عبد الواحد (603-618ه/1206-1221م)[1]، كان يجلس كل يوم سبت يسأل الناس، وكان عالما فاضلا شجاعا محسنا ذكيا فطنا.[2]

- و خلال حكم الأمير أبي زكريا يحي (627-747ه/1229-1249م) وصف بأنه: (من الصالحين والعلماء العاملين، ختم على الشيخ الرعيين السوسي كتاب المستصفى للغزالي وغيره من الكتب المفيدة، وناظر في النحو على ابن عصفور، وكان فقيها أديبا، وكان معدودا

[1]- الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص219.

[2]- الزركشي محمد، المصدر السابق، ص18.

من العلماء والشعراء)[1]. وقام ببناء المدارس، واقتناء الكتب وجمعها، وجمعت دولته العلماء والشعراء وأهل الصلاح مالم يجمعه غيره.[2]

– و زيادة في تعظيم المعلمين والفقهاء حتى بعد موتهم، فقد كر أن في فترة السلطان الحفصي أبي زكريا ابن اللحياني(711–717ه/1311–1317م)[3]

(وكان معلمه الذي علمه القرآن الشيخ القاصين أبو عمر الجبالي، وكان حفيده ابن ابنه، اذا سافر الى تونس ودخل سليم على السلطان، يجعل السوط الذي كان جده يضربه الخليفة زمان التعليم على كتفه الأيمن ظاهرا، فإذا أحسن اليه وقضى حوائجه)[4]

– وفي عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز (796–837ه/1394–1434م)[5] حيث ذكر ابن قنفذ بأنه حضر مجلسه في العلم بالقصبة في التفسير والحديث، وجلس السلطان على البساط الذي يجلس عليه الطلبة، وكان المدرس قاضي الجماعة أبو مهدي عيسى الغبريني يلقى الدرس، وكان السلطان يقرأ على القاضي، وأيضا كان السلطان أبو عبد الله المنتصر(837–839/1434–1436م) يتصدق على الطلبة، وكذلك أنشأ مدرسة بسوق الفلقة.[6]

2– توفر المكتبات: عمل أمراء حاضرة بني حفص على تشجيع العلم والعلماء، فقاموا بإنشاء المكتبات، فكان لكل مدرسة مكتبة خاصة بها، وألحقوا الزوايا بمكتبات غنية بالكتب الدينية[7]،

---

[1]– ابن أبي دينار محمد، المصدر السابق، ص126.

[2]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص219–220.

[3]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص220.

[4]– ابن قنفد أحمد، المصدر السابق، ص162–163.

[5]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص221.

[6]– ابن قنفد أحمد، المصدر نفسه، ص197.

[7]– نميش سميرة، المرجع السابق، ص42.

فيذكر التيجاني: (أنه في القرن الرابع عشر كان يوجد عدد من الكتب في زاوية بعيدة عن المدن الكبيرة، وهي لأولاد سهيل).[1]

– كما أنشأ أمراء حاضرة بني حفص مكتبات خاصة في قصورهم، فجمع فيها أبو زكريا الأول جمع كتب مكتبة الصنهاجيين، والأغالبة، وأضاف اليها الآلاف من الكتب حتى قدرت في زمانه 36 ألف مجلد في جميع العلوم والفنون، وفي عهد المستنصر أو كل مهمة الاشراف على المكتبة لأبي الحسن الطرابلسي، وقد أولى المستنصر اهتمام 1311م، كبير بالمكتبة، وقد استمرت هذه المكتبة منهلا للعلم حتى عهد أبي يحي اللحياني سنة 711ه، حيث باع معظم الكتب التي فيها[2]، وأكد العبدري أن الجامع الأعظم بالقيروان كان يحتوي على كتب قديمة ومن بينها: مصحف يعود تاريخه الى عهد الخليفة عثمان بن عفان.[3]

– وفي عهد الخليفة المستنصر بالله (647–657ه/1249–1277م)، رتب لمجالسته أعلام من الفقهاء والأدباء، كالمحدث الحافظ أبي بكر بن سيد الناس(659ه)، وابن عصفور(ت 669ه)، والكاتب البليغ أبي عبد الله ابن الآبار(ت658ه)، والفقيه أبي المطرف بن عميرة(ت658ه)، وغيرهم من الأعلام.[4]

– وخلال ولاية الأمير أبي حفص عمر بن المولى أبي زكريا(683–694ه/1248–1295م) ذكر أنه(كان يعظم الفقهاء والصلحاء، ويبرهم ويبادر الى حوائجهم)[5]، وكان نزيه النفس،

---

[1]– التجاني عبد الله، المصدر السابق، ص213.

[2]– نميش سميرة، المرجع السابق، ص43.

[3]– العبدري محمد، المصدر السابق، ص161–162.

[4]– ابن قنفد القسنطيني، بن الخطيب أحمد، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، (د.ط)، الدار التونسية للنشر، الاسكندرية، 1968، ص123.

[5]– المصدر نفسه، ص148.

محبا للعلم والعلماء.[1]

– كما أنشأ أمراء بني حفص المكتبات العمومية، فأول مكتبة أسست سنة 873ه 1434م، في المقصورة في جامع الزيتونة زمن الأمير فارس عبد العزيز، والذي أهدى كتبه التي في مكتبته الخاصة للطلبة، ووضع قوانين عدم خروج أي كتاب من المكتبة.[2]

– وفي عهد السلطان أبي عمر وعثمان بن خزانة كتب بالمقصورة الشرقية الموجودة في الجامع الأعظم سنة 854ه[3]، وفي عام 952ه أضاف السلطان أبو عبد الله بن الحسن مقصورة بجامع الزيتونة، كما أضاف لها كتب قيمة وعرفت هذه المكتبة بالعبدلية.[4]

– وساهم المهاجرون الأندلسيون في التأثير على الجانب الفري، ليتمثلا في اللغة والكتابة والخط، وبالتالي كان لهم دور في النهضة الفكرية والثقافية[5]، وهذا ما أكده أحمد بن عامر بقوله: (وساهم في تلك النهضة بقسط وافر مهاجروا الأندلس والمثقفون، وكان بلاط الأمراء عامرا بالشعراء والأدباء والظرفاء، وكانت الندوات الأدبية والعليمة تنعقد في كثير من بيوت الأمراء...في اطار فني يعتبر في جوانبه نسخة من الحضارة الاسلامية الأندلسية).[6]

3– الرحلات العلمية: ظهرت العديد من الرحلات العلمية نحو المشرق في عهد الدولة الحفصية خلال القن 7ه(13م) وظهور عدد كبير من المؤرخين المغاربة، ومن أبرزهم نذكر عبد الرحمان ابن خلدون(ت 808) وغيره.[7]

---

[1]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص220.

[2]– نميش سميرة، المرجع السابق، ص43.

[3]– الزركشي محمد، المصدر السابق، ص144.

[4]– نميش سميرة، المرجع نفسه، ص44.

[5]– قطوش نورة، الرجع السابق، ص688.

[6]– بن عامر أحمد، المرجع السابق، ص67.

[7]– قطوش نورة، المرجع نفسه، ص690.

– ويذكر ابن خلدون: (في أي رحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم والسبب في ذلك أن البشر يأخذ من معارفهم أخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما والقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، الا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين، أشد استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها).[1]

– والحياة العلمية التي ظهرت في إفريقية بشكل عام، وحاضرة تونس خاصة بينت على الارتحال لبلاد الشرق لتزويد بالعلوم والمعارف ولاسيما الى مصر وبغداد ومكة والمدينة.[2]

– ومن أهم الرحلات العلمية نذكر رحلة العبدري، حيث بدأ رحلته من المغرب الأقصى واتجه الى البقاع المقدسة، وكانت هذه الرحلة ثرية بالأحكام النقدية والأدبية، اذ كانت له لقاءات مع العديد من الأدباء، ورحلة التجاني(675ه–717ه) فقد جاءت بالعديد من الأشعار و ورسائل فنية مختلفة.

ورحلة ابن الجبير فهي من الرحلات التي جمعت بين وصف المشاهد الطبيعية ووصف العمران، المسماة تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار وقد زار ابن الجبير العديد من المدن في المغرب والمشرق.[3]

4– الهجرة الأندلسية الى المغرب الأدنى: عرفت الأندلس العديد من العلماء والأدباء في جميع فنون الثقافة العربية الاسلامية، وبعد سقوط العديد من المدن الأندلسية، هاجرا العلماء

[1]– ابن خلدون عبد الرحمان، المرجع السابق، ص578.

[2]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص222.

[3]– قطوش نورة، المرجع السابق، ص690.

الأندلسيين الى بلاد المغرب، واستوطن معظمهم افريقية، حيث شاركوا في العلوم النقلية والعقلية والطبيعية والفلسفية.[1]

– أصبحت تونس قبلة العلماء والأدباء[2]، يقول العبدري في رحلته عند حديثه عن تونس:(....وما من فن من فنون العلم الا وجدت بتونس قائما، ولا مورد من موارد المعارف الا رأيته بها حوله واردا وقائما، وبها من أهل الرواية والدراية، عدد وافر من أهل يجلوا الفخار بهم عن محيا سافر).[3]

– ومن أبرز من رحل الى بلاد المشرق من أهل حاضرة تونس من أجل التزويد بالعلم والمعرفة[4]، أبو الحسن ابن رزين(ت 661ه) من أهل مرسية، عالم من علمائها، خاطب بها وببجاية خطب بليغة، وولي القضاء بتونس، واستقر بها، وحج ثم عادا الى تونس، كما قرأت عليه أول قصيدة أبي عبد الله بن أبي الخصال، و سماها: "معراج المناقب".[5]

– وكذلك رحل الى المشرق ابن زيتون (ت 691ه/1224م) القاضي، الامام المجتهد، أبو القاسم بن أبي بكر اليمني، عرف بابن زيتون الشيخ الفقيه من أهل تونس، رحل الى المشرق مرتين، وقرأ وحصل، علم بأصول الفقه والعقائد الكلامية والفقه والجدل والمنطق، شارك في الحكمة، وله فصاحة في الايراد، توجه في أحد الرسائل لبعض ملوك المغرب عن المستنصر

---

[1]– نميش سميرة، المرجع السابق، ص44.

[2]– قطوش نورة، "الوضع الثقافي للدولة الحفصية خلال القرن السابع الهجري"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج 19، عدد1، 1 جوان، 2023، ص688.

[3]– العبدري محمد، المصدر السابق، ص72.

[4] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص224.

[5] – العبدري محمد، المصدر السابق، ص92.

بالله مرتين، فشكرت رسالته، ولي القضاء بحاضرة إفريقية، وكان قبل ذلك من أشياخ البيت.[1]

– وأيضا ممن ارتحل الى المشرق، أبي يحي بكر ابن جماعة الهواري(ت712ه) الفقيه، وقد أخد عن القاضي ابن دقيق العيد وحج سنة 699ه/1300م، ثم رجع الى تونس، وله مؤلفات فقهية.[2]

– كما استقر بحاضرة تونس علماء وفقهاء من أهل الأندلس نذكر منهم: ابن الآجار(658ه/1260م)، عندما خضعت بلنسية، رحب به أبو زكريا في بلاطه.[3]

الشيخ الفقيه المحدث المقرئ، النحوي الأديب، اللغوي الكاتب البارع التاريخي، أبو عبد الله محمد بن عبد اله بن أبي بكر القضاعي، الشهير بابن الآبار، من أهل بلنسية، أحد القراءات عن أبي عبد الله ابن نوح وأبي جعفر الحصار وسمع منهما، وغيرهم. صحب أبا الربيع ابن سالم بضعة عشرين سنة، وهو ندبه الى وضع "التكملة" لصلة أبي القاسم ابن بشكوال، رحل الى العدوة واستقر ببجاية، ودرس بها، له تأليف حسنة، ونزعات في علم الآداب بارعة.
وصل من الأندلس الى العدوة رسولا عن والي بلنسية، وقضى رسالته عند ملك افريقية في كلام طويل، ثم استدعاه أمير المؤمنين المستنصر الى حضرته، فأعجبه منطقه ورواه، وقد تداول الناس تأليفه وتقييداته وأشعاره وكتائبه، كما كتب قصيدة لمقام الأمير أبي زكرياء

[1] – الغبريني، بن عبد الله أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح وتع عادل نويهضى، ط 2، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1979، ص97.

[2] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص226.

[3] – تومي بريمبير ، التوت الشرقي ، حكم الحفصيين إلى نهاية القرن الخامس عشر ، تقديم روبرت ، رسالة دكتوراه في الآداب ، كلية الآداب ، الجزائر ، 1940 ، ص 38.

رحمه الله، يستجده فيها لنصرة أهل الأندلس، ولم يكن له من التآليف الا الكتاب المسمى بكتاب "اللجين في مرائي الحسين".[1]

– وكذلك استقر بحاضرة تونس، الشيخ الفقيه أبو بكر محمد بن ابن سيد الناس اليعمري الاشبيلي(ت659ه/1261م) الفقيه المحدث اللغوي التاريخي، كان راوية حافظا للحديث، عارفا برجاله، ودرس الحديث بتونس فأقرأ صحيح البخاري وصحيح مسلم، وكان أبناء السلطان وأقاربه يحضرون جروسه بجامع القصبة، وحصل على عدة اجازات للحديث من علماء مصر، والشام والحجاز والعراق.[2]

– وأيضا من أهل الأندلس أبن عصفور أبو الحسن علي بن مؤمن الحضرمي(669ه/1271).[3]

الشيخ الفقيه، الاستاذ النحوي التاريخي، عرف بابن عصفور، من أهل اشبيلية، قرأ بها على يد جماعة من كبار العلماء منهم أبو علي الشلويش، فحصل مالم يحصل عليه غيره، جمع ابن عصفورين الحفظ والاتقان، والتصور وفصاحة اللسان، وارتحل الى الهدوء واستوطن بجاية وكان بها أستاذ للأمير يحيى رحمه الله، كما ارتحل الى حاضرة افريقية وكان أجد خواص مجلس المستحضر بالله فقرأ عليه، وأيضا قرأ عليه حلق كثير وانتفعوا بيه. وألف أبي الحسن رحمه الله في الحربية عدة تآليف و تعد من أحسن التصانيف، ومن أعظم الموضوعات والتآليف. له "المقرب" وله على "الايضاح" ولم يسبقه أحد بمثله، وهو أولى الناس بشرح كتاب الله تعالى، كما شارك في علم المنطق وحسن ايراده فيها، توفي رحمه الله بتونس في سنة 669ه/ 1271م.[4]

---

[1]– الغبريني أحمد، المصدر السابق، ص309–310–311–312–313.

[2]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص227.

[3]– المرجع نفسه، ص227.

[4]– الغبريني أحمد، المصدر السابق، ص317–318–319.

– وفي زمن الأمير أبو عبد الله محمد الحسن(899–932ه/1494–1526م)، بنى المقصورة بطرق صحن جامع الزيتونة من الجهة الشرقية وضع لها كتب مفيدة، وجعل لها قومة يقومون بها، و وقت الانتفاع بها وقت محدود[1]، وأطلق على هذه المكتبة، المكبة العبدلية.[2]

–**التعليم:** كان النظام التعليمي في حاضرة بني حفص شديد الوطأة، حيث كانوا الطلاب يقرأون من الصباح الى المساء، في جميع العلوم، كما أنهم يتعرضون للتوبيخ والعقاب عند التقصير في الدرس، وقد كانت فترة الدراسة في المؤسسات التعليمية خمس سنوات، ويرجع ابن خلدون ذلك الى تفوق أهل تونس، لأن التعليم في بلاد المغرب ستة عشرة عاما، مع تنوع في برامج الدراسة.[3]

–وبالنسبة الى نظم الامتحانات فكانت الاجارة، حيث يسمح الشيخ للطلبة المتفوقين التدريس مكانهم، وفيما يخص طريقة التدريس، فلم يكن هنالك منهج متبع، فالكتب كانت وسيلة وغير محددة للتعليم، فكان لكل شيخ طريقته و منهجيته في التدريس، وبالنسبة لطريقة الالقاء كانت تتمثل في القاء الشيخ بعض الاسئلة على التلاميذ ومناقشتهم فيها.

المبحث الثاني: المؤسسات التعليمية في العهد الحفصي. [4]

– اهتم سلاطين و أمراء الدولة الحفصية اهتماما خاصا بالتعليم، وحرصوا على أن تتوفر جميع السبل التي تمكن الطلبة من ممارسة التعليم، فقاموا بانشاء العديد من المؤسسات الثقافية والدينية التي حدمت بدورها الحركة العلمية. وعملت على ازدهارها، فكانت هذه المؤسسات التعليمية [5]من كتاتيب المساجد وزوايا ومدارس ومكتبات وغيرها، بمثابة الاشعاع العلمي

---

[1]– ابن أبي دينار محمد، المصدر السابق،150.

[2]–برنشفيك روبار، المرجع السابق،ص48.

[3]– نميش سميرة، المرجع السابق،ص48.

[4]-رجيم عائشة، المرجع السابق، ص75

[5]-رجيم عائشة، المرجع نفسه ، ص76

المضيء في تلك الفترة، كما انها كانت قبلة للعلماء من كل مكان، سواء من المغرب والاندلس أو من بلاد المشرق، وفدوا اليها من أجل أن تتزود بالعلوم والمعارف.[1]

أ- الكتاتيب:

ينظر ابن منظور بأن:(الكتاب موضع تعليم الكتاب، أي: الكتابة، والجمع الكتاتيب والمكاتب)[2]، وقد اشتق اسمه: أي الكتاب من الكتب وتعليم الكتابة، وهو الموضع الذي يتعلم فيه الصبيان القرآن والقراءة والكتابة.[3]

اصطلاحا، فالكتاب يطلق على الموضوع الذي يتم التدريس فيه وهو عبارة عن مكان متواضع يتسع لمجموعة مننن الصبيان، الذين يشرف عليهم المعلم.[4]

- وقد شهد الحفصي نوعين من الكتاتيب: كتاتيب خاصة وكتاتيب عامة، فالخاصة هي التي كانت توجد في قصور الملوك والأمراء والوزراء، وقد حرص الخلفاء على تدريس أبنائهم داخل قصر السلطان، واما العامة انتشرت في اركان الحاضرة.[5]

- وقد علم العرب المسلمون صبيانهم فاتخذوا لهم كتاب بسيط البناء يجتمعون فيه لقراءة القرآن، وقد كان للكتاتيب دورا كبيرا في نشر العلم، وكان الكتاب بسيط البناء تكفيه حجرة

---

[1]- رجيم عائشة، المرجع نفسه ، ص42

[2]- ابن منظور، بن مكرم محمد، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وآخرون،ج1،(د، ط)، دار المعارف، القاهرة، (د، ت) ص3817.

[3]- الدليمي منذر عطاء الله، المرجع السابق، ص42.

[4]- رجيم عائشة، المرجع السابق، ص42.

[5] - الرصاع محمد، المصدر السابق، ص120.

من منزل يوقفها المعلم على تعليم الصبيان، وأن أثاث الكتاب لا يتعدى حصيرا يفرش على الأرض ويجلس فوقه المعلم وحوله الصبيان، فالكتاتيب كانت منفصلة عن المساجد لكنها ملتصقة بها مكانا.[1]

– وعن تعليم المناهج في الكتاب، فكان برنامج تعليم الصبيان يهتم على تعليم مبادئ الدين الاسلامي، ويحتوي المنهج على مواد اجبارية وأخرى اختيارية، فالإجبارية منها: تحفيظ القرآن الكريم واعراب القرآن، والقراء والكتابة، والخط الحسن، والاختيارية منها: كالحساب، وأيام العرب وأخبارها، والشعر، وينبغي على المعلم أن يعلم الصبيان على الصلاة اذا كانوا أبناء سبع سنوات، ويضربهم عليها اذا كانوا بني عشر سنوت.[2]

– وفي ما يخص نظام التعليم في الكتاب، فيبدأ التعليم من صباح يوم السبت وينتهي عند ظهر يوم الخميس، ويكون يوم الجمعة استراحة، وأن يتحلى المعلم بالصفات الدينية والخلقية والعلمية[3]، وبالنسبة عن أيام العطل في الكتاب فيكون لهم(في الأعياد عيد الفطر ولا بأس أن يأذن لهم ثلاثة أيام وعيد الأضحى ولا بأس أن يأذن لهم خمسة أيام)[4]، كما جرت العادة على يخلي الصبيان يوما أو بعض اليوم بمناسبة ختم أحد منهم القرآن الكريم تعظيما له.[5]

– ومن الأفعال التي تدل على اهتمام الأمراء بالكتاتيب وتشجيعهم للصبيان، ما ذكر أنه خلال ولاية الأمير أبي زكرياء يحي(627–647ه/1229–1249م)، كان(اذا خطا على مكتب في طريق يأمر معلم الأولاد أن يسرح أطفال المكتب، ليدخل عليهم السرور)[6]

---

[1]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص228–229.

[2]– الرصاع محمد، المصدر السابق، ص85.

[3]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص230.

[4]– الرصاع محمد، المصدر نفسه، ص80.

[5]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص231.

[6]– ابن قنفد أحمد، المصدر السابق، ص114.

وخلال عهد السلطان أبو عمر وعثمان(839–893ه) بنى ثلاثة مكاتب لتعليم قراءة القرآن احداهما قبلي جامع الزيتونة، واثنان بربض باب المنارة.[1]

– و الى جانب هذا لم يقتصر انشاء الكتاتيب على السلاطين فحسب، وانما كان بعض العلماء من كان له الحظ في ذلك، ومن النماذج على ذلك: العالم الفقيه أبو اسحاق اذ قام بانشاء مكتب لتدريس الأولاد بجانب الدار التي دفن فيها، كما نجد أن الفتاة الحفصية هيا الأخرى قد ساهمت في ذلك، فكان أول كتاب للنساء من انشاء أم العلو الحجازية.[2]

– المسجد لغة: من فعل سجد أي خضع وانحنى الى الأرض، وسجودا بمعنى وضع جبهته على الأرض[3]، أما شرعا فهو كل موضع من الأرض لقوله صلي الله عليه ولم: " جعلت الأرض مسجدا".[4]

– المساجد والجوامع: ان الهدف من بناء المساجد هو أولا: لعبادة الله تعالى وأيضا تعليم أمور الدين الاسلامي، وقد أصبحت المساجد مراكز ثقافية، لأن الدراسة كانت قديما دراسات لشرح تعاليم الاسلام وتفقيه الناس أمور الدين، واستمرت العلوم الشرعية كالحديث، والتفسير تدرس بالمسجد ومازالت تتنوع وتتشعب، وظهر علم الفقه، وأصبح النحو يدرس على جهة والعلوم الأخرى، وعندما ينتهي الصبيان تعليمهم في الكتاب ينتقل الى التعليم في المسجد، فتكون مرحلة المسجد أعلى مرحلة من الكتاتيب.[5]

– وفيما يخص طريقة التعليم بالمساجد، فقد كان الشيخ يجلس على حصير أو بساط، وربما كان بعضهم يجلس على كرسي لكي يسمعه كل الحاضرين، وكان الطلبة يجلسون حول

---

[1]– ابن الشماع محمد، المصدر السابق، ص125.

[2]– رحيم عائشة، المرجع السابق، ص47.

[3]– ابن منظور محمد، المصدر السابق، ج1، ص1941.

[4]– المصدر نفسه، ص1940.

[5]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص233–234.

الشيوخ، وكان الشيخ يفتتح الدرس بالبسملة، والتحميد لله تعالى والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان الفقهاء في تونس يضعون على رؤوسهم العمامة.[1]

– ومن الفقهاء الذين درسوا بتونس الفقيه ابن سيد الناس،(ت659)، حيث قرأ بها صحيح مسلم البخاري، وكان أبناء السلطان الحفصي المستنصر بالله(647–675ه) وأقاربه يحضرون الدروس التي يقدمها بجامع القصبة[2]، ويذكر الرحالة العبدري خلال وجوده بحاضرة تونس سنة 688ه، أنه التقى بالعديد من العلماء كان من بينهم أبو القاسم اللبيدي الذي لا يتأخر عن حضور(المجلس لإسماع العلم مع فادح ضعفه... وضرارة بصره، لا يتخلف عن المسجد ليلا ولا نهارا، ولا يقطع اسماع العلم وتعليمه واقراء القرآن)[3]، توفي سنة(702ه)، وخلال لقاءه بالشيخ الأديب أبو الحسن علي التجاين التونسي(714ه)، له بيت عريق في العلم والأدب(قال لي بمسجد اقرائه: أنا الثاني عشرة مدرسا من أبائي، على نسق كلهم قد قعدوا للإقراء).[4]

– وعن دورها التعليمي والتثقيفي، يستطيع الطالب خلال فترة تدريسه الالتحاق الى الحلقة التي يختارها، واختيار الشيخ الذي يريده، ولم يتقيد بالمقررات الدراسية، بل كانت له الحرية في اختيار المواد التي يرغب في دراستها، حسب قدراته الفكرية[5]، وذلك من خلال ما ذكره الرصاع أن العادة: " جرت أن ينظر الطلبة أحسن المجالس فيحضر فيها"[6]، وكان للطالب أيضا الحق في أن يلازم شيخا واحد كما هو الأمر عند البرزلي الذي صاحب شيخه ابن

---

[1]– المرجع نفسه، ص235.

[2]– المرجع نفسه، ص235–236.

[3]– العبدري محمد، المصدر السابق، ص495.

[4]– المصدر نفسه، ص521–522.

[5]– رحيم عائشة، المصدر السابق، ص74.

[6]– الرصاع محمد، المصدر السابق، ص113.

عرفة(ت808ه/1401م)، مدة تفوق الثلاثين سنة[1]، وبالنسبة للبرامج الدراسية فقد كان للمدرسين الحرية في اخيار الكتب المدروسة وفي المناهج وطرقة التدريس.[2]

– وتجدر الاشارة أن حلقات الدرس لا تلقى في المسجد فحسب بل كان بعض الشيوخ الأئمة يدرسون في مقصورة الامام(الدويرة)، وهذا ما أكده محمد الزنديوي عند قدومه الى تونس:" لما دخلت الحاضرة لم أعرف بها أحد ولم يعرفني أحد، ولا علمت أين أهتدي، وعلى ما أقرأ عليه، صليت بالجامع الأعظم، وجلست مع بعض الطلبة، سألته فقال لي: اذا رأيت الطلبة يخرجون من الجامع بعد صلاة العصر فاتبعهم...".

– وفي ما يخص ادارة المسجد، كانت السلطة العليا في المغرب الأدنى، وتتمثل في: السلطان، الأمير، الأمير، الحاجب، القضاة هم الذين يشرفون على ادارتها، اذا كانت الدولة تدفع رواتب المدرسين من العلماء وغيرهم بالمساجد والجامعة.

– شهدت حضارة تونس الحفصية بناء عدد كبير من المساجد والجوامع، قدر مجموع عددها في أواخر العهد الحفصي حوالي مائة مسجدا، من بينها جوامع للصلاة، مما جعلها مركزا علميا نشطا، ومقصدا للعلماء.[3]

– جامع الزيتونة[4]: يعد من أقدم معاهد العلم بإفريقية، بنا حسان بن النعمان والي افريقية سنة 79ه/698م، و أعاد ترميمه عبد الله بن الحبحاب عام 114ه/752م[5]، وقد انتظم به التعليم

---

[1]– البرزلي بن أحمد البلوي، فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تق و تح: محمد الحبيب الهيلة، ج1، الغرب الاسلامي، بيروت، 2002، ص9.

[2]– رحيم عائشة، المرجيع نفسه، ص94.

[3]– المرجع نفسه،ص78.

[4]– ينظر الملحق رقم2.

[5]– بن خوخة محمد، معالم التوحيد في القديم وفي الجديد، المطبعة التونسية، تونس، 1358–1939، ص10.

خلال فترة خلفاء بني حفص الذين قاموا بتعميره بالمجالس العلمية التي كان يقرأ فيها القرآن الكريم وتلو الحديث الشريف، فبداية من القرن 7ه/13م ضمت في جامع الزيتونية المواد التعليمية وتتمثل في : الدين والأدب والطب والحساب، فأصبح بذلك مركزا للتعليم العالي وارتحل اليه العديد من العلماء من المغرب الاسلامي والأندلس[1]، كما أنشئت في أروقته خزانة للكتب جمعت مصنفاتها 36 ألف مجلد خلال اقرن 8ه/14م، ضمنت في كتب في شتى العلوم الشرعية والعربية واللغة والحساب والتاريخ، وغيرها من العلوم.[2]

– وقد اهتم السلاطين الحفصيون بجامع الزيتونة، حيث قاموا على اصلاحه واضافة أجزاء اليه، فقد أضاف اليه المستنصر بالله(648ه/1250م) ساقية يستسقى منها الناس، كما قام بزخرفة قبة الجامع.[3]

– وبين أبو عمر وعثمان سنة 841ه/1437/ جناحا خاص بالكتب بمقصورة سيدي محرز، وفي أواخر القرن العاشر أنشأ أبو عبد الله محمد مقصورة بجامع الزيتونة، وأوقف بها كتب في شتى فنون العلم والمعرفة.[4]

لاهتمام الحكام الحفصيين بهذا المعلم الديني والعلمي، أن ظهرت فيه العديد من الشخصيات العلمية التي تولت للإمامة والتدريس فيه، وكان أول من تولى الخطبة الامامة الشيخ الفقيه محمد عبد السلام البرجني، ثم تولى للإمامة بالجامع ابن أبي الدنيا وابن عبد الرفيع... وغيرهم.[5]

---

[1]– الرصاع محمد، المصدر السابق، ص113.

[2]– رحيم عائشة، المرجع السابق، ص79.

[3]– المرجع نفسه، ص79.

[4]– المرجع نفسه، ص79–80.

[5]– رحيم عائشة، المرجع السابق، ص80.

– ويذكر لنا القلصادي خلال رحلته شخصية أخرى اشتهرت بالتدريس داخل جامع الزيتونة، وكان ممن تلقى عليهم القلصادي العلم، وحضر مجالسهم أثناء زيارته لونس وهو محمد بن عقاب.[1]

– جامع القصبة[2]: موقع هذا الجامع في القسم الجنوبي من القصبة التي توجد وسط الجانب الغربي من حاضرة تونس، بناه الأمير الحفصي أبو زكريا يحيى الأول، ويعرف أيضا بجامع الموحدين، ابتدأ بناءه سنة 629ه/ 1231م، وانتهى في شهر رمضان سنة 630ه/ 1232م[3]، وقد بني على النمط الأندلسي فجاء أجمل وأضخم وأبهى جوامع تونس بلا استثناء، وقد كانت تقام فيه الدروس الخاصة بالمذهب الموحدي، وتنظم فيه مناقشات شعرية بين شعرائه أمثال: ابن عربية والكومي والأصولي وغيرهم من الشعراء.[4]

– جامع الهواء: ويسمى جامع التوفيق، شيدته الأميرة عطف زوجة أبي زكريا وأم الخليفة المستنصر سنة 650ه/ 1252م، في عهد ابنها هذا يقع في الحي السلطاني[5]، يرجع محمد بن خوخة سبب تسميته بجامع الهواء لحسن مناخه وارتفاع موقعه[6]، ورتب فيه المستنصر دروس في العلوم ومختلف الفنون.

ودرس فيه من بعد المستنصر علماء من افريقية كابن عرفة، وبعض تلاميذه، وقد أنشأت الأميرة عطف بجانب الجامع المدرسة بنفس الاسم.[7]

---

[1]– القلصادي علي، الرحلة، دراسة وتح: محمد أبو الأجفان، (د.ط)، الشركة التونسية للتوزيع، (د.ط)، 1398ه/1978م، ص112–113.

[2]– ينظر الملحق رقم 3.

[3]– رحيم عائشة، المرجع نفسه، ص82–81.

[4]– المرجع نفسه، ص82.

[5]– المرجع نفسه، ص83

[6]– بن خوخة محمد، المصدر السابق، ص66.

[7]– رحيم عائشة، المرجع السابق، ص83.

-جامع سيدي يحيى السليمائي: يقع في أطرق حي باب العسل، كان السليماني يعتكف فيه التدريس والعبادة، وقد أحدث فيه الأمير بن أبي بكر الخطبة سنة 747ه/1346م.[1]

- جامع سيدي جعفر: يوجد في باب السويقة في سوق التباين، ويسمى أيضا حي سوق التباين ويسمى أيضا بجامع التباين، أنشأ فيه أبو عمر الخطبة سنة 885خ/1451م.[2]

- جامع الحلق: يوجد هذا الجامع بسوق العصر بباب جديدة بحاضرة تونس، أنشأته أمة زنجية كانت تملك حلقا ذهبيا وأسورة فباعتها لتقيم الجامع، وأصبح فيما بعد جامع خطبة.[3]

- جامع القصر: يعد هذا الجامع مركزا علميا نشيطا يعج بالطلبة والمدرسين وكان ملتقى العلماء، جلس فيه للتدريس ابن الطواح مدة 13 سنة[4]، ومن أئمته ومدرسيه الذين كان لهم اشعاع علمي كبير عبد العزيز بن المعطي(ت 873/1433م).[5]

- وفيما يخص المساجد الصغيرة فقد كثر بناؤها بتونس، حيث كثر عددها وأصبحت تعد بالآلاف، وأهمها: مسجد الصفصافة، تم تزويده بمنارة مرتفعة في القرن 7ه/13م، وتزاحم عليه المتصوفة، كسجد القبة: يوجد قرب زاوية أبي عبد الله المغربي، " بنهج تربة الباي"، ومن أشهر العلماء الذين درسوا فيه: الفقيه ابن البراء، المهدوي في القرن 7ه/13م، والعلامة عبد الرحمان بن خلدون، ومازال قائما الى يومنا هذا.

مسجد سوق الفلقة: " سمي بهذا الاسم نسية الى وجوده بسوق الفلقة.

مسجد دار محرز بن خلق: اعتكف به البرزلي في آخر أيامه.[1]

---

[1]- المرجع نفسه، ص83.

[2]- ابن خوخة محمد، المصدر السابق، ص77، 78.

[3]- المصدر نفسه، ص79-81.

[4]- رحيم عائشة، المرجع نفسه، ص86.

[5]- ابن خوخة محمد، المصدر نفسه، ص101-102.

– مسجد الشعبين: المسجد قباله المدرسة المنتصرية، مسجد الربض: وجد في القرن الثامن الهجري المسجد الذي بإزاء دار البرزلي، وجد في بداية القرن التاسع الهجري.[2]

– وقد قدرت المساجد والجوامع في تونس في العهد الحفصي بمائتين جامع ومسجد، كانت تقوم بدور العبادة والتعليم.[3]

– ومن المساجد والجوامع ورد ذكرها في رحلة ابن رشيد السبتي، غمن مساجد تونس، مساجد أبي بكر بن جيش وجامع الزيتونة.[4]

– تعريف المدرسة: المدرسة تشتق من الفعل(درس) بمعنى قرأ، كما ورد في القرآن الكريم يقول الله تعالى: " ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق، ودرسوا ما فيه".[5]

ويعرف ابن منظور المدرسة: أنها تشتق من الفعل درس الكتاب، يدرسه درسا ودراسة، و دارست درس، والمدرس أو المدارس وهو الموضع، فالمدرسة من حيث المدلول اللغوي، هي المكان الذي يتم فيه التدريس".[6]

ج– المدارس: ظهرت في حاضرة تونس مجموعة من المدارس في فترة متأخرة، وكاد لها دور كبير في الحركة العلمية في منطقة المغرب العربي كله، من خلال طلبة العلم الذين وفدوا

---

[1]– رحيم عائشة، المرجع السابق، ص86–87.

[2]– المرجع نفسه، ص87–88.

[3]– نميش سميرة، المرجع السابق، ص47.

[4]– ابن رشيد السبتي، المصدر السابق، ج1، ص40.

[5]– سورة الأعراف الآية رقم 169.

[6]– ابن منظور محمد، المصدر السابق، ص79–80.

اليها لينهلوا أنواع المعارف التي يقدمها كبار العلماء والفقهاء[1]، ويذكر ابن فضل اله العمري:(وبتونس ثلاث مدارس الشماعية والمعرضية ومدرسة الهواء)[2]، وكان هذا في عهد العمري، لكن بعد عهد العمري ازداد عدد المدارس وبالتالي ازدياد التوسع العمراني في الحاضرة، والاقبال على العلم.

– ومن أهم مدارس حاضرة تونس[3] هي: المدرسة الشماعية: أسسها الأمير الحفصي أبو زكريا يحيى(627–647ه/ 1929–1249م) وفي عام 633ه/1235م، توجد المدرسة في سوق الشماعين ومن هنا أطلق عليها اسم الشماعية، وتعد من أقدم المدارس التي تم انشائها في حاضرة تونس، ومن أشهر مشايخها: القاضي أبو القاسم قاضي الجماعة(ت677ه)، وابن عبد الرفيع قاضي الجماعة(ت733ه)، والفقيه أبو علي عمر الهواري(ت734ه)، قد ذكر أن جراية المدرس بها عشرة دنانير في الشهر.[4]

– المدرسة التوفيقية: تعج من مدارس حاضرة تونس، وتعرف أيضا بمدرسة الهواء، بنيت هذه المدرسة من قبل الأمير عطف زوجة الأمير أبي زكريا يحيى، في عهد ابنها الأمير محمد المستنصر بالله(647–657ه/1249–1277م)، مع جامع التوفيق(الهواء) المجاور لها، وكان هذا في سنة 650ه/1252م.[5]

وقدر درس في هذه المدرسة الفقيه ابن سيد الناس الاشبيلي(ت569ه) يدرس الحديث، يدرس التفسير والفقه.[6]

---

[1] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص236.

[2] – العمري شهاب الدين، المصدر السابق، ج4، ص145.

[3] – الدليمي منذر عطا اله، المرجع نفسه، ص237.

[4] – المرجع نفسه، ص237–238.

[5] – ابن أبي دينار محمد، المصدر السابق، ص127–128.

[6] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص238.

– المدرسة المعرضية: أسسها الأمير أبو زكريا(678–681ه/1279–1283م).

في حدود سنة 679ه/1281م، وكان الأمير أبو زكريا نزيه النفس، محبا للعلم والعلماء، وعندما علم بوجود فندق يباع فيه الخمر، أمر بهدم الفندق وبني مكانه مدرسة، وحبس عليها ريعا كثيرا من كتب قيمة في كل فنون المعرفة.

وقد درس في هذه المدرسة الفقيه أبو العباس أحمد الغرناطي(ت692ه)، وأعطى له الأمير قرطاسين من ذهب والفضة ليوزعها على من يوجد في المدرسة، فسمع الناس بذلك، فامتلأت بطلاب العلم وكان أبو زكريا يحضر فيها مجلس الوعظ يوم الاثنين والجمعة، وأجرى على المدرس رزقا قدره عشرة دنانير خلال الشهر، كما جعل بين داره والمدرسة نافدة تشرف عليها، وليسمع منها ما يقدم في المدرسة، وكانت المدرسة قريبة من جامع الزيتونة، ومن سوق العبيد.[1]

– و من مآثر السلطان الحفصي أبو عمر و عثمان (839–893ه)، انشائه مدرسة في غاية الجمال، وجعل فيها مسجد للصلاة، ودرس لقراءة العلم ومسكن للطلبة، و جعل فيها سماطا مستمرا، و جعل فيها ماء في سبيل الله، و جعل عليها الوقف، وأيضا وضع الكتب في خزانة بالمقصورة الشرقية الموجودة في جامع الزيتونة، وأوقف عليها من يقوم بها، و كذلك اكمال تشييد المدرسة الموجودة بسوق الفلقة والتي بدأ فيها أخيه السلطان المنتصر[2]، و خلال وصف العبدري للحاضرة يقول (لا تنشد بها ضالة من العلم الا وجدتها).[3]

–كما ساهم الأمير زكريا الثاني في العلم حيث منح طلاب المدرسة المعرضية منح من الذهب والفضة، بهدف تشجيعهم على العلم ، وجعل لشيخ المدرسة عشرة دنانير من الذهب كما

---

[1]– المرجع نفسه، ص238–239.

[2] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص221.

[3]– العبدري محمد، المصدر السابق، ص109.

حرص السلطان أبو العباس على حضور جميع الدروس ،واحتضن العالم ابن خلدون طيلة بقائه في تونس، واهتموا أيضا بالفقه، كما حرصوا على اكرام العدماء وحسن وفادتهم.[1]

– المدرسة العنقية(عنق الجمل): أسست هذه المدرسة من قبل فاطمة أخت السلطان أبي يحيى ابن أبي زكريا سنة 742ه/1342م، ودرس بها يحيى ابن الجماعة محمد الهواري(ت749ه)، ثم درس مكانه القاضي محمد بن سلامة(ت746ه)، كما درس فيها الفقيه محمد بن عقاب(ت851ه)، واشتق اسمها من المكان الذي توجد فيه، وهو عنق الجمل، وعندما فتحت هذه المدرسة أقبل عليها طلبة العلم من كل مكان.[2]

– المدرسة العصفورية: الى جانب الأمراء والسلاطين، نجد العلماء والفقهاء قاموا بانشاء مدارس لانتشار العلم والمعرفة، وأسست هذه المدرسة من قبل أبي الحسن علي الحضرمي المعروف بابن عصفور(597–669ه) اشبيلي، فقيه، نحو تاريخي، رحل الى تونس فحظي باحترام كبير من طرف السلطان المستنصر باله(647–657ه)، وكان من بعض خواص مجلسه، توجد هذه المدرسة بدرب ابن عبد السلام، بالقرن من سوق العطارين، وأسست قبل وفاة مؤسسها ابن عصفور سنة(669ه/1269م)، وقد درس ابن عصفور فيها.[3]

– مدرسة ابن تافراجين: أسس هذه المدرسة الحاجب أبو محمد عبد الله ابن تافراجين، في القرن الثامن الهجري، بحاضرة تونس في مكان يسمى قنطرة ابن ساكن، داخل باب السويقة

[1] – نميش سميرة، "الحركة العلمية بدولة بني حفص ق8–10ه/13–16م"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 5، العدد 11، سبتمبر 2017، ص42.

[2] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص239–240.

[3] – المرجع نفسه، ص240.

و بعد وفاة ابن تافراجين سنة(766ه) دفن في هذه المدرسة[1]، وقد درس فيها الفقيه أبو محمد ويعرف بابن عصفور.[2]

-المدرسة المنتصرية: شرع في بنائها السلطان الحفصي محمد المنتصر (837-839ه) في سنة 838ه-1435م، وتوجد هذه المدرسة بالقرب من سوق الفلقة بتونس، وبعد وفاة السلطان أتمها اخوته أبو عمرو عثمان وجعل عليها الوقف[3]، وهذه المدرسة زارها الرحالة القلصاري وسكن بها سنة ونصف حيث قال: (وكنت في أثناء ذلك اخذ القران و القراء، وسوق العلم حينئذ نافقة، وينابيع العلوم على اختلافها مغدقة)[4]، ودرس بها المحدث القاضي محمد بن العقاب (851ه)، وقد درس فيها الفقيه الشيخ أحمد القسنطيني قاضي الأنكحة بتونس (ت865ه) وكذلك الفقيه محمد البيدموري وغيره.[5]

-المدرسة العثمانية: تعد من أعمال السلطان أبو عمرو عثمان (839-893ه/1435-1488م) وكانت في غاية الحسن والاتقان، توجد بالقرب من مقام الفقيه محرز بن حلق، في باب السويقة بدار صولة، بدأ بنائها سنة 840ه/1440م، وأقام فيها مسجد للصلاة، ودرسا الطلبة العلم ورباطا لسكن الطلبة، وجعل عليها ما يكفي من الوقف، وجعل فيها ماء مستمرا في سبيل الله وبنيت سنة 844ه/1444م، وسميت بالمدرسة العثمانية بنسبة الى السلطان أبو عمر وعثمان[6]، ويذكر القلصادي أنه سكن بها عاما كاملا، وممن أخذ عنه العلم الشيخ الفقيه القاضي أبو العباس أحمد القلشاني(ت863ه) فقال:(فحضرت عليه بعض التفسير من الكتاب

---

[1]- الزركشي محمد، المصدر السابق، ص101.

[2]- المصدر نفسه، ص139.

[3]- الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص241.

[4]- القلصادي علي، المصدر السابق، ص115.

[5]- الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص241-242.

[6]- المرجع نفسه، ص242.

العزيز، وجميع صحيح مسلم، وبعض ابن الحاجب الفرعي، ومختصر المدونة للبرانغي من مواضيع مختلفة، وقرأتها عليه كذلك بلفضي، وأجازني جميع ذلك).[1]

– مدرسة القائد نبيل: أسست هذه المدرسة من قبل القائد نبيل أبو قطاية، وهو من ذوي النفوذ، وكان موقع هذه المدرسة شرقا باب ينتجمي، أحد أبواب القصبة، وقد أكملها على أحسن وجه السلطان أبي عمر وعثمان(839–893ه/1435–1488م)، وفي عام 850ه، وعند وفاة القائد نبيل سنة 857ه، دفن في مخبزة في المدرسة التي أعدها، وكان مدرس هذه المدرسة الفقيه ابراهيم الأخضري (ت879ه)، وكذلك القاضي أحمد عبد الرحمان الملقب حلو لو، وكانت وفاته سنة (898ه) بتونس.[2]

– ومن المدارس التي ذكرها ابن رشيد السبتي في رحلته، ولها وظيفة مهمة في نشر العلم والثقافة: مدرسة تقع خارج باب تونس التي درس بها أبو الشمل الحلبي نزيل تونس ومدرسة الشماعين التي درس بها أبو القاسم المعروف باليميني، وهي أول مدرسة أنشأت بتونس.[3]

– كانت طرائق التدريس في العصر الحفصي تختلف باختلاف الشيوخ الذين كانوا يقرأ عليهم وهي ثلاثة طرائق الطريقة الأولى: النقل والحفظ[4]. وهي طريقة قديمة عرفت قبل منتصف القرآن 7ه/13م تعتمد على النقل والحفظ، يلجأ اليها العالم والفقيه في جميع العلوم النقلية والعقلية، حيث يقوم الطلبة بتدوين المعلومات التي يلقيها الشيخ، دون نقاش أو تحليل أو اعتراض في المجالس العقلية.[5]

---

[1]– القلصادي علي، المصدر السابق، ص115–116.

[2]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ج1، ص243.

[3]– ابن رشيد السبتي محمد، المصدر السابق، ج2، ص42–43.

[4]– برنشفيك روبار، المرجع السابق، ج2، ص379.

[5]– رحيم عائشة، المرجع السابق، ص158.

– الطريقة الثانية: الالقاء والشرح تعتمد هذه الطريقة على الالقاء والشرح، حيث يقوم أحد الطلبة النجباء بقراءة نص مشهور، ويتولى الأستاذ شرحه كاملا والطلبة بدونه في كرار بيتهم ما يجب الانتباه اليه، عند شرح الأستاذ ذو أجوبته على أسئلة الطلبة.[1]

– الطريقة الثالثة: طريقة الاجتهاد، هي طريقة تعتمد على الاجتهاد اذ يتولى الأستاذ فيها الاشراف على أبحاث الطلبة، في حين يقوم الطلبة بدراسة المشكلة ومناقشتها، للوصول الى المعرفة.[2]

– المكتبات: من خلال المصادر نجد أن المكتبات وجدت في حاضرة تونس خلال العهد الحفصي، وعندما تأسست المدارس، كما ظهرت سوق تصرف الكتبين في بداية الدولة الحفصية في تونس.[3]

– ومن أشهر المكتبات في حاضرة تونس هي التي أسسها الأمير أبو زكريا الحفصي(627–647ه/1230–1249م) بقصره، ضمت ست وثلاثين ألف مجلد[4]، وقد اهتم الأمير أبو زكريا في اقتناء الكتب ووضعها في مكتبته بتونس، وجلبها من المدن الأخرى، ونظرا لكثرة الكتب، عين أمير أبو زكريا أمنا يقومون بإدارتها[5]، ومن بينهم الفقيه الأديب، أبو علي الحسن الهواري الطرابلسي، الذي عزل خلال ولايته، وأعيد في عهد الأمير أبو زكريا يحيى الواثق(675–678ه/1277–1280م)، فوجد أن الآلاف من الكتب قد أتلفت، وعندما سئل عن ذلك قال (المطر وأيدي البشر).[6]

---

[1] – رحيم عائشة، المرجع السابق، ص159.

[2] – المرجع نفسه، ص160.

[3] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص244.

[4] – ابن الشماع محمد، المصدر السابق، ص57.

[5] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص245.

[6] – التجاني عبد الله، المصدر السابق، ص274–275–276.

– وقد استمرت هذه المكتبة الى سنة 716ه، حيث اضطريت أحوال البلاد في عهد أبو يحيى زكريا ابن اللجداني(711–717ه/1311–1317م)(اذ باع جميع الذخائر التي كانت في القصبة، حتى الكتب التي كان الأمير أبو زكريا الأكبر جمعها، واستجاد أصولها ودواوينها، أخرجت للكتيبين قبعت بدكاكينهم).[1]

– وعندما أسس الأمير أبو زكريا ابن السلطان أبي اسحاق(678–681ه/1279–1283م) المدرسة المعرضية، اشترى من ماله،(كتب نفسية في كل فن من فنون العلم)[2]، ويذكر ابن قنفد بأن الأمير أبو زكريا (جعل لها من الكتب ما يفوق الحصر عددا وحسنا).[3]

– ومن أعمال السلطان أبو فارس عبد العزيز0796–837ه/1394–1434م)،أقام خزانة كتب في سنة 822ه/1419م، وتشمل على أمهات الدواوين أخرجها من قصره وجعل لها مقصورة بمجنبه الهلال جو في جامع الزيتونة، وأوقفها على طلاب العلم، لينتفعون بها، بشرط ألا يخرج منها شيء من المجنبة، خوفا من ضياعها، ووضع لها موظفون يقومون على ترتيبها، وحدد لها وقت كل يوم، وكانت تضم هذه المكتبة كتب في العلوم الشرعية والعربية، واللغة والطب، والحساب والتاريخ.[4]

– وفي عهد السلطان أبو عمر وعثمان(839–893ه/1435–1488م)، خرج خزانة الكتب التي بقصره، وجعل لها خزانة بالمقصورة الشرقية في جامع الزيتونة، وذلك في سنة 854ه/1454م، ووضع لها موظفون يقومون بها، وأوقف عليها مايكفيها.[5]

---

[1] – ابن أبي دينار محمد، المصدر السابق، ص134.

[2] – الزركشي محمد، المصدر السابق، ص51.

[3] – ابن قنفد أحمد، المصدر السابق، ص156.

[4] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص246.

[5] – الزركشي محمد، المصدر نفسه، ص144.

المبحث الثالث: أنواع العلوم وأشهر علمائها.

– شهدت الفترة الممتدة من القرن السابع الهجري الى القرن العاشر الهجري، انتشار الكثير من العلوم التي كان يتم تعليمها في مختلف جهات بلاد المغرب الاسلامي، ومن أبرز هذه العلوم: علوم القرآن الكريم وتشمل: علم القرآن وعلم التفسير وعلم الفقه والشعر والنثر والتاريخ والجغرافيا وغيرها من العلوم، وأن أهم ما يميز المغرب الأدنى في العهد الحفصي هو تأثير هذه العلوم على الحياة الفكرية، ولذا وجه العلماء الحفصيون اهتمامهم بهذه العلوم التي عرفت تطورا ملحوظا.[1]

أولا:

علوم الفرآن الكريم: هو علم يتكون من عدة مباحث ترتبط بالقرآن الكريم من حيث نزوله وجمعه وترتيب سوره، وبيان الأوجه التي نزل عليها وأسباب النزول، وبيان الشروح ودفع الشبهات عنه.[2]

1– علم القراءات: بدأت الحياة الثقافية في حاضرة تونس بالعلوم الشرعية، وفي مقدمتها تعليم القرآن الكريم، وكان مجموعة من علماء حاضرة تونس، أخذ بتعليم القرآن الكريم[3]، وقد اشترط سحنون على المؤدبين في تعليم الصبيان فنونا قسمتها الي قسمين: اجباري واختياري(أما فرض تعليمه وجوبا، فالقرآن الكريم مع اعرابه ورسمه بالشكل، واتقان الهجاء والقراءة الحسنة من توقيف وترتيل، والأنسب أن تكون بقراءة نافع لحسن طريقتها).[4]

---

[1] – رحيم عائشة، المرجع السابق، ص226.

[2] – عبد العزيز محمد، التربية الاسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مص، 1407ه/1987م، ص84–85.

[3] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص247.

[4] – بن سحنون محمد، داب المعلمين، تق وتح: محمود عبد المولى، ط2، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1981، ص82.

– والقرآن الكريم هو كتاب الله تعالى الذي نزله على نبيه، وهو متواتر بين الأمة، الا أن الصحابة رووه عن الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض ألفاظه، وطريقة الحروف من خلال أدائها وتناقل ذلك، الا أن استقرت منها سبع طرق، تواتر أيضا نقلها بأدائها فأصبحت هذه القراءات السبعة أصول القراءة.[1]

– وقد ظهرت كتب المؤلفين في علم القرآن أبرزهم: أبو عمرو الداني[2]، له كتابا في التسيير ويعد من الكتب التي يعتمد عليها في معرفة القراءات، التي كانت تدرس في حاضرة تونس.[3]

– وقد ذكر ابن خلدون أن: القراء لم يزالوا يتداولون هذه القراءات حتى ظهر(أبو عمرو الداني وبلغ الغاية فيها، ووقعت عليه معرفتها وانتهت الى روايته أسانيدها، وتعددت تأليفة فيها، وعول الناس عليها وعدلوا عن غيرها، واعتمدوا من بينها كتاب التسيير).[4]

– ومن أهم القراء الذين كان لهم دور في نشر علم القراءات نذكر:

التبجيتي، حسن بن عبد العزيز(كان حيا سنة 635ه) من أهل بلسنة، عرف بالقشتليوني نسبة الى قرية قرب بلسنية، أحد علم القراءات عن أبي الحسن بن هديل وأجاز له اجازة عامة، كتب المصاحف، واستقر بتونس وقرأ بها القرآن.[5]

– ابن الغمار، أحمد بن محمد(ت693ه) وكنيته أبا العباس ابن العمار الأنصاري، قاضي تونس مقرئ ومحدث، ولد سنة 609خ/1209م، سمع الحروف السبعة من ابن أبي الربيع

---

[1]– ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق ، ج1، ص551–552.

[2]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص248.

[3]– العبدري محمد، المرجع السابق، ص115–491.

[4]– ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج1، ص552.

[5]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص249.

وأبي الحسن بن سلمون[1]، ويذكر العبدري خلال وجوده بتونس، أنه قرأ عليه أكثر التيسير للإمام أبو عمر الذاتي، وتوفي بتونس سنة 693ه/1294م.[2]

– أبو يعقوب الجدامي، يوسف بن ابراهيم(ت692ه) من شاطبة صوفي، ولد سنة 613ه، أخذ رواية نافع عن جده لأمه مالك بن يوسف المعارفي، سكن تونس واستقر بها، كانت وفاته 692ه/1293م.[3]

2– علم التفسير: يعد من العلوم المهمة التي ارتبطت بالقرآن الكريم، ويقصد بعلم التفسير: النظر في كتاب الله عزوجل وبيان ألفاظه، لأن القرآن الكريم نزل بلغة العرب وبأساليب بلاغتهم، وأيضا لبيان معاني القرآن الكريم، ولمعرفة أسباب نزول الأبان القرآني وبيان معانيها[4]، ويعرف أيضا بأنه(فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ)[5]، ويعتبر تفسير القرآن الكريم الخطوة المهمة بعد علم القراءات للحصول على معاني القرآن.

– وبعد شساعة رفعة الدولة العربية الاسلامية أصبح التفسير ضرورة بسبب دخول مجموعة كبيرة من غير العرب في الاسلام، فمن الصعوبة عليهم ادراك معاني كتاب الله، لذلك لجأ المسلمون في تفسير القرآن الكريم عن طريق اتجاهين وهما: بالتفسير المأثور وهو ما أثر

---

[1] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع لسابق، ص249.

[2] – العبدري محمد، المصدر السابق، ص491.

[3] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص250.

[4] – المرجع نفسه، ص250.

[5] – الزركشي، بن عبد الله محمد، البرهان في علم القرآن،(د.ط)، (د.د.ن)، (د.م)،(د.ت)، ص250.

عن الرسول والصحابة التابعين، أما التفسير الأخر فيسمى التفسير بالرأي، وهو يعتمد على العقل أكثر من اعتماده على النقل، وقد عمل به المعتزلة.[1]

– وعني العلماء والطلبة بالتفسير القرآنية عناية خاصة، ومن أبرز التفاسير التي درست في حاضرة تونس، نجد: تفسير ابن عطية[2]، وذكر ابن خلدون(فلما رجع الناس الى التحقيق والتمحيص، وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها، وتحرى ما هو أقرب الى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس).[3]

– ومن أبرز من عمل في هذا المجال أهل تونس نذكر:

ابن بزيرة، عبد العزيز بن ابراهيم التميمي(ت662ه)أبو محمد الامام العلامة المؤلف، نزل بتونس، كان–رحمه الله– حبرا صوفيا وعالما بالفقه، له عدة تآليف منها: الاسعاد في شرح الارشاد، وشرح الأحكام الصغرى لعبد الحق الاشبيلي، وتفسير القرآن وشرح التلقين وشرح الأسماء الحسنى، وشرح العقيدة البرهانية، وكتاب منهاج المعارف الى روح العوارف وضح فيه تأويل أكثر المشكلات، أختصره في كتاب ايضاح السبيل الى مناهج التأويل، وكان حافظا للفقه والحديث والأدب والشعر، جمع بين تفسير ابن عطية والزمخشري، وشرح التلقين والأحكام والارشاد، ولد بتونس عام 606ه، وتوفي عام 662ه.[4]

– الغرناطي، أبو العباس أحمد القريشي الغرناطي(ت692ه/1292م) الشيخ الفقيه المحدث، كان أعلم الناس بالكتب التي صنفت و أخفضهم لأسمائها، مشتغل بعلم الراوية والتفسير الى

---

[1]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص251.

[2]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص251.

[3]– ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق،ج1، ص555.

[4] – التنبكتي، بابا أحمد نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتق عبد الحميد المراقة، ط2، دار الكاتب، طرابلس، 1999، ص268.

أن توفي بتونس سنة 692ه/1292م[1]، من أبرز مؤلفاته: كتاب المشرق في علماء المغرب والمشق، وله تفسير وغير ذلك.[2]

– الجمبري، محمد بن محمد بن عبد النور(كان حيا سنة 726ه) تفنن في سائل العلوم، أخد العلم على يد القاضي الامام، ابن زيتون، والقاضي ابن برطلة الأرذي، اختصر تفسير الامام فخر الدين بن الخطيب في سبعة أسفار، سماه (نفخات الطيب في اختصار ابن الخطيب).[3]

– ثانيا: علوم الحديث النبوي الشريف، كل ما أثر عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير لشيء رآه، وتأتي أهمية الحديث عند المسلمين بعد القرآن الكرين، حيث جاء فيه تقرير لبعض الأحكام التي جاءت في القرآن الكريم فبينها الرسول بالقول والفعل للمسلمين.[4]

– وجاء في بعض المصادر أن موطأ الامام مالك بن أنس دخل الى تونس على يد علي بن زياد التونسي(ت183ه)، الذي سمع عن طريق مالك وسفيان الثوري، وهو أول من أدخل جامع سفيان الثوري، وفسر لهم قول مالك وهو معلم سحنون، ورحل الى الحجاز والعراق، وقد كان أهل القيروان ومنهم: البهلول بن راشد يذهبون الى تونس من أجل السماع من علي بن زيادة[5]، فمعظم العلماء والفقهاء والمحدثين الموطأ برواية يحيى، وقد ذكر أن هذا الكتاب تم تدريسه في تونس.[6]

---

[1] – الغبريني أحمد، المصدر السابق، ص247–348.

[2] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص252.

[3] – الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص252.

[4] – المرجع نفسه، ص254.

[5] – المالكي عبد الله، المصدر السابق، ص234–235.

[6] – القلصادي علي، المصدر السابق، ص254.

– وقد ذكر العبدري خلال رحلته الى تونس ولقائه بمجموعة من الفقهاء والعلماء منهم الشيخ الفقيه ابن الغمار أحمد(ت693ه)، أنه سمع عليه من (الموطأ وصحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي).[1]

– وقد جعل أهل المغرب موطأ مالك أحد أصول كتب الحديث، حيث كان في تونس وغيرها من المدن، ويعد من أهم الكتب حيث يتم الاعتماد عليه، اذ أن أهل افريقية اتبعت المذهب المالكي، وأن مجموعة كبيرة من أهل تونس ممن تفوقوا في علم الحديث ووضعوا فيه المؤلفات.[2]

– وأبرز علماء الحديث في تونس والذين كان لهم دور كبير في هذا المجال نذكر:

ابن الجلاب، محمد بن أحمد المشهور بابن الجلاب الفهري(ت664ه)، أصله اشبيلي وتونسي النشأة والسكن، عني برواية الحديث وعرفة رجاله، من أبرز مؤلفاته: أشعار الأنام بأشعار المنام.[3]

– الهواري، محمد بن عبد السلام(ت749ه) قاضي الجماعة بتونس، تولى الإمامة، عالما بالحديث والعربية، سمع من أبي العباس البطرني، وبرع في الفقه وسائل العلوم الشرعية، تتلمذ على يديه عدد كبير من العلماء أشهرهم: ابن خلدون، وابن عرفة، من أهم مؤلفاته: تنبيه الطالب لفهم كلام ابن الحاجب، توفي بمرض الطاعون الذي أصاب حاضرة تونس سنة 749ه/1348م.[4]

– الوادي آشي، محمد بن جابر، يكنى بأبو عبد الله الوادي آشي(ت749ه)، الوادي آشي نسبة الى قرية من عورة البيرة بينها، وبين غرناطة أربعون فرسخا، ولد بتونس سنة

---

[1]– العبدري محمد، المصدر السابق، ص491.

[2]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص255.

[3]– المرجع نفسه، ص255–256.

[4]– المرجع نفسه، ص256–257.

673ه/1247م، كان والده عالما أديبا من كتاب الدولة، يعرف بصاحب الرحلتين، فام بتأدية فريضة الحج وسمع من علماء الحجار والعراق ومصر، من مشاهير القراء المحدثين، وعرف بإمام المحدثين، قرأ وحدث بالحرم النبوي الشريف، من أبرز مؤلفاته: أحاديث الملقاة والأربعون حديثا البلدانية، توفي بتونس سنة 749ه.1348م وتم دفنه بمقبرة الزلاج. [1]

ثالثا: الفقه: يذكر ابن خلدون(الفقه معرفة الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر، والندب والكراهة والاباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فاذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قبل لها فقه، وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيما بينهم.[2]

– وقد عرفت تونس المذهب الملكي الذي معظم مناطق المغرب العربي، ويعود الفضل بإدخاله لتونس الى علي بن زياد(183ه)، عند رحلته الى الحجاز وسماعه من الامام مالك بن أنس، وقد انتشر المذهب المالكي في افريقية حاصة بعد اعلان أمير افريقية المعز بن باديس انفصاله عن الخلافة الفاطمية في مصر.[3]

– وعند استيلاء الموحدين على تونس وجدوا المذهب الوحيد الذي يعمل به المذهب المالكي، كما كان يوجد بتونس مجموعة يعتنقون المذهب الظاهري.[4]

ومن أبرز فقهاء تونس منهم: البرجيني، عبد السلام القرشي(ت360ه)، يكني أبا محمد، واشتهر بالبرجيني، نسبه الى قرابة البرجين تقع في الساحل التونسي، قرأ في مدينة المهدية،

---

[1]– المرجع نفسه، ص257.

[2]– ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج1، ص563.

[3]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص258.

[4] – المرجع نفسه، ص259.

ثم تحول في بداية الدولة الموحدية الى تونس وتقلد بها المناصب الدينية، درس العلوم الفقهية، كما تولى الخطابة في جوامعها، وله فتاوى مشهورة، كانت وفاته سنة 630ه/1230م./[1]

– ابن غرفة، أبو عبد الله محمد بن عرفة(ت803ه)، الفقيه الامام العلامة، المقرئ، أحد أعلام المذهب المالكي، سمي شيخ الشيوخ، يكفي أبا عبد الله، ولد بتونس سنة 716ه/1306م، تلقى مختلف العلوم الشرعية واللغوية، كان مدرس بجامع الزيتونة بتونس[2]، وفي سنة 773ه أصبح مفتي وداع صيته، واشتغل بالعلم والرواية، كما حفظ مذهب الامام مالك، كانت وفاته بتونس سنة 803ه/1398م، وتم دفنه بمقبرة الزلاج، وكان أفقه أهل المغرب، كما برع في الأصول والفروع.[3]

– محمد بن عقاب، أبي عبد الله(ت851ه)، الفقيه الامام المحدث المقرئ العلامة القاضي أبي عبد الله محمد بن عقاب، تولى الامامة في الفقه وأصوله وعلم العلام، كما تولى القضاء بتونس ودرس في مدارسها، وكان اماما بجامع الزيتونة.[4]

رابعا: الشعر: يقول ابن خلدون: أعلم أن لسان العرب على فنين في الشعر المنظوم، وهو الكلام الموزون المقضى ومعناه، الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو: القافية...أما الشعر فمنه المدح والهجاء والرثاء.[5]

ولم يجد فقهاء تونس حرج من تعليم الشعر، حيث كان معظمهم شعراء ولكنهم يشترطون أن يكون في الشعر الفحش، ويستجب تعليمه للصبياني في الكتاب.[6]

---

[1] – المرجع نفسه، ص259.

[2]– الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص260.

[3]– الزركشي محمد، المصدر السابق، ص120–121.

[4]– القلصادي علي، المصدر السابق، ص118–121.

[5] _ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج1 ص 781.

[6]_الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص 262.

_وقد ذهب القاضي ابن العربي (ت542ه) بأن يقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم الأخرى، حيث قال:(لأن الشعر ديوان العرب ويدعو على تقديمه وتعليم العربية في التعليم ضرورة فساد اللغة، ثم ينتقل منه الى الحساب فيتمرن فيه حتى يرى قوانينه، ثم ينتقل الى درس القران فانه تسير عليك بهذه المقدمة)[1]. ويذكر لنا ابن خلدون بعض المؤلفات الشعرية التي درسها في تونس، على يد امام العربية والأدب بتونس أبو عبد الله محمد بن بحر، لازمت مجلسه وأفدت عليه، وكان بحرا زاخرا باللسان، وأشار على بحفظ الشعر وحفظت كتاب الأشعار الستة والحماسة للأعلام، وشعر حبيب وطائفة من شعر المتنبي، ومن أشعار: كتاب الأغاني)[2].

_ومن أبرز شعراء بتونس نذكر: حازم القرطاجي: أبو الحسن حازم القرطاجي(684ه)، الشيخ النحوي الشاعر الكاتود بقرطاجة الخلفاء بالأندلس سنة 608ه/1211م) ونشابها، وأخذ العلم عم الكثير من شيوخها منهم: أبو رشيد الفهري، رحل الى تونس وقد استوطنها واستقربها، عين في ديوان الانشاء له عدة مؤلفات مثل: كتاب منهاج البلغاء، كما نظم من الأشعار.[3]

_الأمير أبو زكريا يحي (647_647ه/1230_1249م) أمير تونس، كان شاعرا، وقد رثى في شعره ولي عهده.[4]

_الأمير المنتصر بالله (647_675ه/1249_1277م) له اهتمامات بالشعر، فعندما مرض الفقيه ابن سيد الناس الأشبيلي(ت659ه) ولمكانته العظيمة عند الأمير وعلو شأنه، فكان من

---

[1]_المرجع نفسه، ص 263.

[2]_ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ج1 ص

[3]_الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص263_264

[4]_ المرجع نفسه، ص265,266.

خواص مجلسه وعندما مرض بعينيه، ولازم الفراش واحتجب فترة من الزمن، فنظم الأمير له شعرا مستفسرا فيه عن حاله[1].

أما النساء اللواتي اشتهرن بالشعر نجد: "زينب بنت إسحاق إبراهيم" ومن الأسرة التجانسية، وقد كانت ذات خيال واسع' اشتهرت بأدبها وفصاحتها ورقة شعرها.[2]

خامسا: النثر: يذكر ابن خلدون بأن:(النثر هو الكلام الغير موزون.... ويشتمل على فنون، فمنه: السجع الذي يؤتي به قطعا ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعا. ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام اطلاقا ولا يقطع أجزاء، بل يرسل ارسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها، ويستعمل في الخطب والدعاء وتزغيب الجمهور وترهيبهم).[3]

_ ويقصد بالنثر الفني، النثر الذي يعني به الكاتب بترتيب المعاني وتنسيق الأفكار فيما بينها، وتزيين العبارة ليسد بها جمالا يبعث في روح القارئ الاعجاب، وللنثر أنواع منه: المنشورات والمعاهدات، وولايات العهد، المداولات وغيرها، وكذلك النثر الاجتماعي وغيرها،[4] وأيضا النثر السياسي الأخلاقي الذي يتعلق بالأحوال السياسية للدولة، وأخيرا النثر الأدبي وهو الذي يكتب في الأدبيات، كالوصف ونقد الشعر والنثر والقصص وغيرها.

_ وقد لجأ الكتاب بصورة قد تكون مطلقة الى وقت أخر يختلف عن الفنون الأحرى وهو الترسل الخاص أو العام، وقد عملوا على انتشار الميل، الى تحرير الرسائل بأسلوب متميز، سواء التي تصدر عن الخواص أو الدوائر الرسمية للدولة.[5]

---

[1] _ المرجع نفسه، ص 266.

[2] _نميس سميرة، المرجع السابق، ص 53.

[3] _ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج1, ص 781.

[4] _ الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص 266_267.

[5] _ برشفيك رويار، المرجع السابق، ج2 ص 420.

_وقد كان للكاتب التعبير, الأديب البلنسية, أبو خطاب عمر الكلبي(633ه/1235م) دور كبير في هذا الجانب[1], حيث ذكر الغريني بأنه رأى في كلامه الكثير من الرسائل و المخاطبات,(كلها مغلفات مقفلات)[2] وكذلك كان لابن البارات(658ه) وأبو المطرف أحمد المخزومي (ت658ه/1260م) اندلسي, دور كبير في هذا الفن, وقد تقلد خطة الكتابة في الأندلس, كما استدعاه الأمير الحفصي المستنصر بالله (647_675ه)فلقب بتاج الأدباء[3], فكانت رسائله النثرية وخاصة الموجهة الى الأمراء أو التي حررت باسمهم, (يضرب بها المثل, وقد نشرت مجموعة منها و بعنوان تقييد الرسائل) وتوفي بتونس.[4]

سادسا: التاريخ:

_يذكر بن خلدون قائلا: (أعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد، شريف الغاية، اذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرتهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الافتداء في ذلك، لمن يروهم في أحوال الدين والدنيا).[5]

_لم يكن اهتمام كبير لعلم التاريخ في بداية نشأة مدينة تونس، لأن التركيز كان على العلوم الشرعية، كالقران الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه، وبعد أن أصبحت تونس حاضرة البلاد تطورت فيها الكتابات التاريخية.[6]

---

[1]_ الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص 267.

[2]_ الغيريني أحمد، المصدر السابق، ص 270.

[3]_ المصدر نفسه، ص 298_299.

[4]_ التجاني عبد الله، المصدر السابق، ص 90_91.

[5]_ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج1,ص270

[6]_ الدليمي منذر عطا الله، المرجع السابق، ص270.

ومن أبرز العلماء والمؤرخين الذين اهتموا بالمؤلفات التاريخية، نذكر منهم: ابن نخيل، محمد بن إبراهيم بن نخيل الأندلسي(ت618/1222م)، يكنى أبو عبد الله، نزل بتونس، الأديب، الكاتب، المؤرخ، كان رئيسا لديوان الأعمال عند والي افريقية من قبل الموحدين عبد الواحد بن أبي حفص، ثم رئيسا لديوان الرسائل ألف ابن نخيل كتابا سماه تاريخ الدولتين الموحدة والحصية لم يصل الينا، وابن أبي دينار ومقديشو وغيرهم من المؤرخين.[1]

_ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي(808ه/1405م)، ولد سنة732ه/1332م بمدينة تونس، ألف كتابه المشهور، كتاب العبر والديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والعرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، وأعطاه لسلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز(796_837ه)، وأيضا له كتاب المقدمة والرحلة.[2]

_ ابن القنفد، أبو العباس أحمد بن حسن القسنطينة(ت810ه/1407م)، الشهير بابن الخطب وابن قنفد، القسنطينة: باحث، له علم بالتراجم والتاريخ والحديث والفلك والفرائض، ألف في فنون شتى[3]، من أهم مؤرخي الدولة الحفصي، من أبرز مؤلفاته: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصي، وقد أهداه الى السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز(796_837ه)، وهذا الكتاب يخص الدولة الحفصي، كما له مؤلفات أخرى من أهمها: أسس الفقير وعز الحقير، وأيضا كتاب الوفيات.[4]

---

[1] _ محفوظ محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1, ط1, دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان, 1406ه/1986م، ص28_29_30_31.

[2] _ الدليمي منذر عطا الله، المرجع نفسه، ص272.

[3] _ نويه عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2, مؤسسة نويه الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت لبنان, 1400ه/1980م، ص268.

[4] _ ابن قنفد أحمد، المصدر السابق، ص40_41.

سابعا: الجغرافية: يعرفها ابن خلدون بأنها: علم يبحث في أحوال الأرض من حيث تقسيمها الى الأقاليم والجبال والأنهار، والأقاليم المعتد له والمنحرفة، وتأثير الهواء في ألوان البشر وأبو أحوالهم وأخلاقهم، واختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع، وما ينشأ عن ذلك في أجسام البشر وأخلاقهم.[1]

_ ان أهم من كتب في هذا العلم، أبو محمد بن عبد لله محمد التجاني (717ه/1316م) أديب تونسي، صاحب الرحلة المشهورة التي حملت، اسمه، حيث قام برحلة داخل بلاد افريقية، وقد وصف التجاني في رحلته الطرق التي سلكها بدقة، وأعطى ملاحظات عديدة حول الموقع والظروف الطبيعية والمنتوجات، وأيضا حول السكان والقبائل والسكن، كما أشار في رحلته الى التاريخ.[2]

_فقد برز البدري حيث جمع في رحلته بين الوصف الجغرافي الدقيق للأحوال المناخية للبلاد التي زارها، وذكر أهم الطرق والممرات والوصف الثقافي والعلمي.[3]

خاتمة:

ما يمكن قوله في الأخير أنه ظهرت العديد من المؤسسات التعليمية والدينية عملت على نشر الثقافة وازدهارها في العهد الحفصي، وجعلت منها مركز إشعاع علمي وثقافي، قصدت الطلبة والعلماء من كل حدب وصوب ، كما درسوا العديد من العلوم، فكان من الصعب علينا تصنيفهم حسب تخصصاتهم .
كما لا ننسى إزدهار الحياة العلمية بحاضرة بني حفص يرجع الفضل الكبير إلى تشجيع الأمراء الحفصيين للعلماء ورعايتهم وكذلك الرحلات العالمية وخاصة هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأدنى بإنتاجهم العلمي الكبير.

---

[1] _ ان خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج1, ص

[2] _ برشفيك، روبا، المرجع السابق، ج2, ص417.

[3] _ البدري محمد، المصدر السابق، مقدمة المؤلف، ص-.

خاتمـــــة

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع الأوضاع الإقتصادية والاجتماعية والثقافية في حاضرة تونس من خلال القرن (7-10 ه /13-16 م) توصلنا إلى جملة من النتائج أهمها :

خاصة

-كانت الأوضاع الاقتصادية في حاضرة تونس خاصة الزراعة مزدهرة ، حيث كانت زراعتها عامرة من كل أنواع المحاصيل الزراعية ، كما تعددت مصادر المياه في شمال إفريقيا إذ شملت مياه الأمطار والعيون والآبار والصهاريج والأودية في سقي الأراضي الزراعية، وفي المقابل تعرض النشاط الزراعي إلى عدة مشاكل من أهمها السيول والجفاف والقحط :أثرت الظروف السياسية على النشاط الاقتصادي في حاضرة تونس وخاصة الزراعة ، حيث أصبحت معظم الزراعات داخل أسوار تونس.

كما نلاحظ إزدهار الحرف والصناعات في حاضرة تونس، حيث إشتهرت بأنواع معينة من الصناعات منها : صناعة النسيج وكذلك صناعة الزيوت النباتية والصناعات الخزفية وصناعة العطور وغيرها من الصناعات.

- وفي مجال التجارة كانت لتونس علاقات تجارية مع المدن المجاورة لها في شمال إفريقية، وكذلك مع مصر والسودان الغربي والأندلس حيث تطورت الأسواق، وارتبطت تونس بشبكة من الطرق تربطها مع المدن الأخرى، مما ساعد على قيام حركة تجارية نشطة بين المدن.

كانت الأوضاع الإجتماعية في حاضرة تونس يسكنها أجناس بشرية مختلفة سواء عن طريق الحملات الأولى مع العرب المهاجرين من عرب المشرق وكذلك البربر، إضافة إلى أجناس أخرى من الأفارقة والروم والنصارى والأقباط ء ومسلمو صقلية، والأندلسيون الذين هاجروا واستقروا بتونس بعد هجرات متتالية إثر سقوط المدن الأندلسية، وشكلوا عناصر بشرية متجانسة فيما *بينها* وساعدت على تطور الحاضرة في مختلف المجالات سواء الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

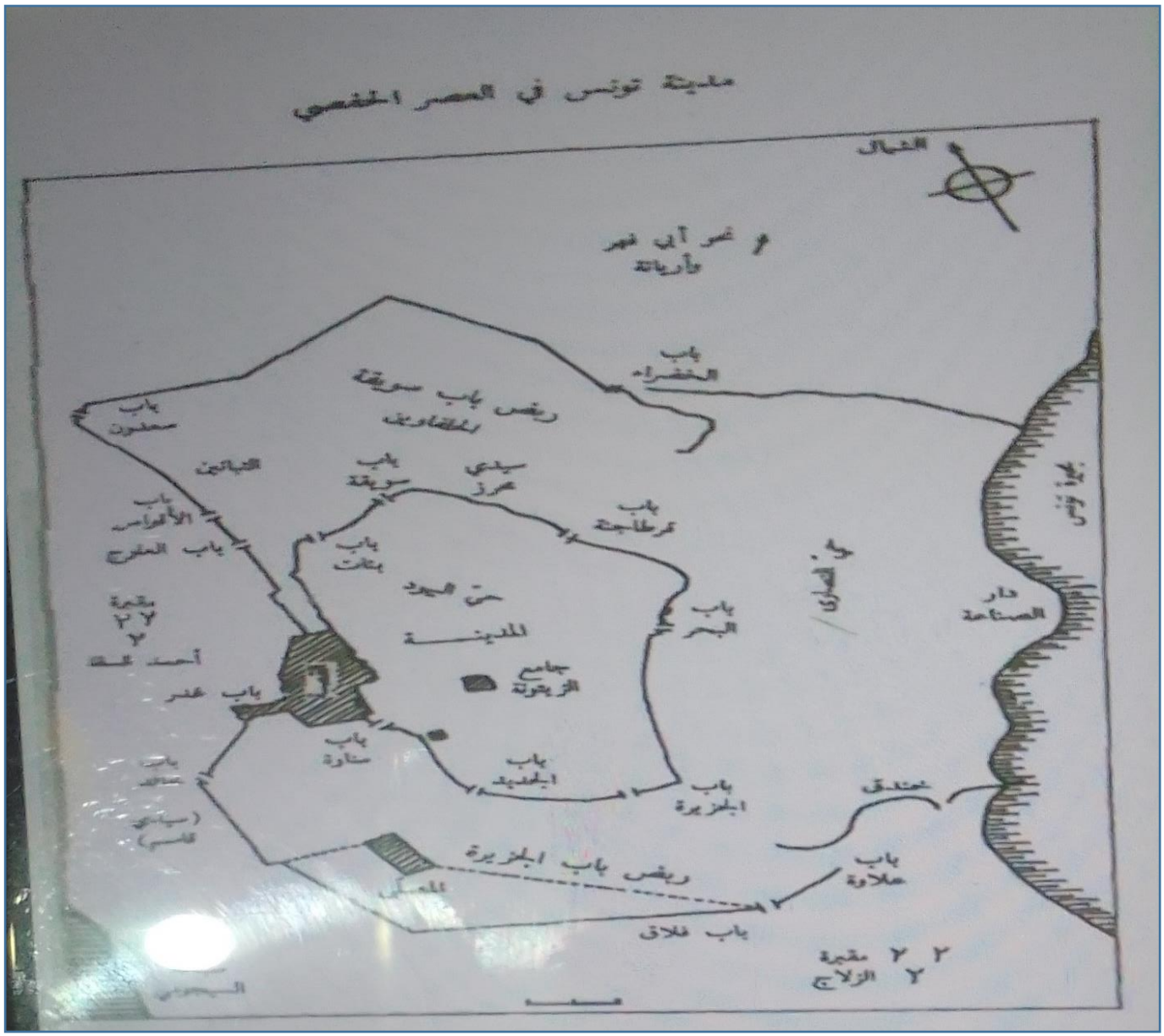
- تطورت مظاهر حياة المجتمع التونسي المتمثلة في : السكن وطعام أهل تونس و الملابس .كما برزت بعض العادات والتقاليد الاجتماعية في حاضرة تونس كإحتفالهم بالأعياد الدينية كالمولد النبوي الشريف إذ كانوا يعظمونه و توقد القناديل وتسرج الشموع فيحتفلون به غاية الاحتفال، كما كانت هناك إحتفالات إجتماعية يقومون بها و تتعلق بالأطعمة والزواج والاحتفالات الأخرى .

– تعرض المجتمع الحفصي خلال القرن (7–10 ه / 13–16 م) للعديد من المشاكل وكانت أخطرها القحط العام ، والأوبئة، والحروب التي ضربت جميع السكان مخلفة خسائر كبرى بين المجتمع الحفصي.

– وكانت الأوضاع الثقافية في حاضرة تونس مزدهرة، حيث تطورت الحياة العلمية بحاضرة بني حفص بسبب تشجيع الأمراء الحفصيين للعلماء ورعايتهم ، وإنشاء المكتبات، وكذلك من خلال الرحلات العلمية، كما يعود الفضل الكبيرة إلى هجرة الأندلسيين المعروفين بعلمهم الغزير إلى المغرب الأدنى إثر سقوط المدن الأندلسية ونشره في حاضرة تونس.

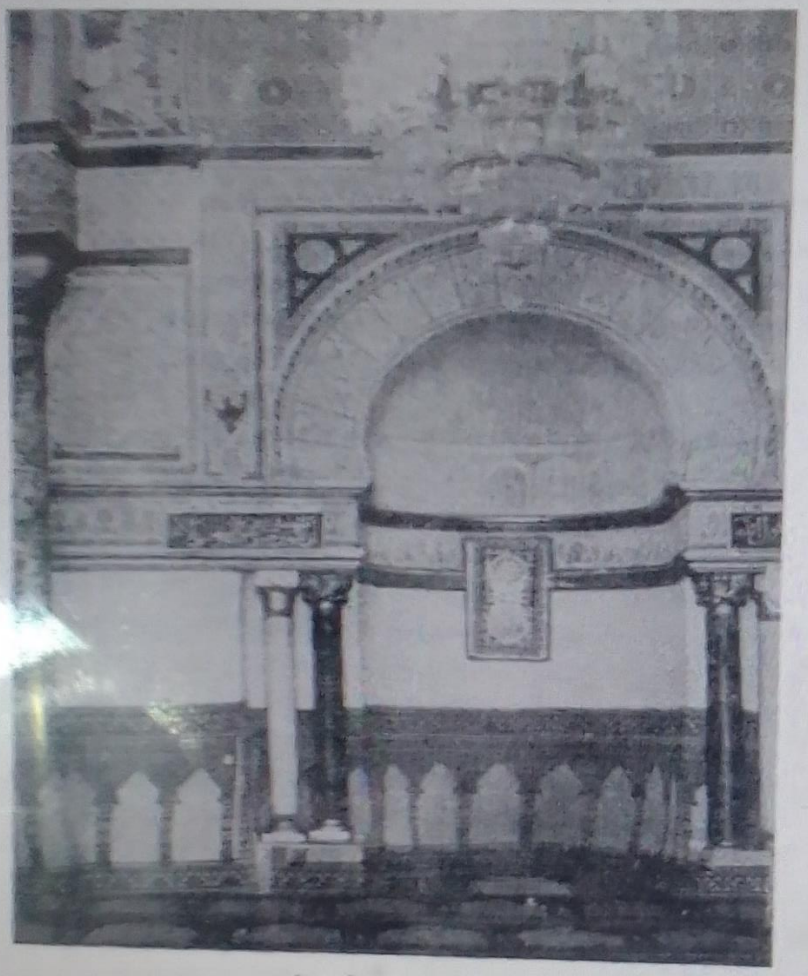
– إنشاء المؤسسات الدينية والتعليمية من طرف الأمراء الحفصيين والأميرات ، وكذلك من طرف العلماء، وقد تمثلت هذه المؤسسات في الكتاتيب والمساجد و الجوامع والمدارس والمكتبات وغير ذلك من المؤسسات التي ساهمت في تنشيط الحركة العلمية بالحاضرة، إذ كانت مقصدا لطلبة العلم والعلماء من مختلف الأقطار – هجرة عدد كبير من العلماء والفقهاء من أهل الأندلس، و من مدن المغرب الأخرى إلى حاضرة تونس، حيث شهدت الحاضرة نهضة فكرية وعالمية وقد كان أساسها الدراسات القرآنية والحديث النبوي الشريف، ثم تطورت وأصبحت تشمل كل العلوم والمعارف از برفق علماء درسوا عدة علوم .

الملاحق



المرجع : برنشفيك ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ص 370

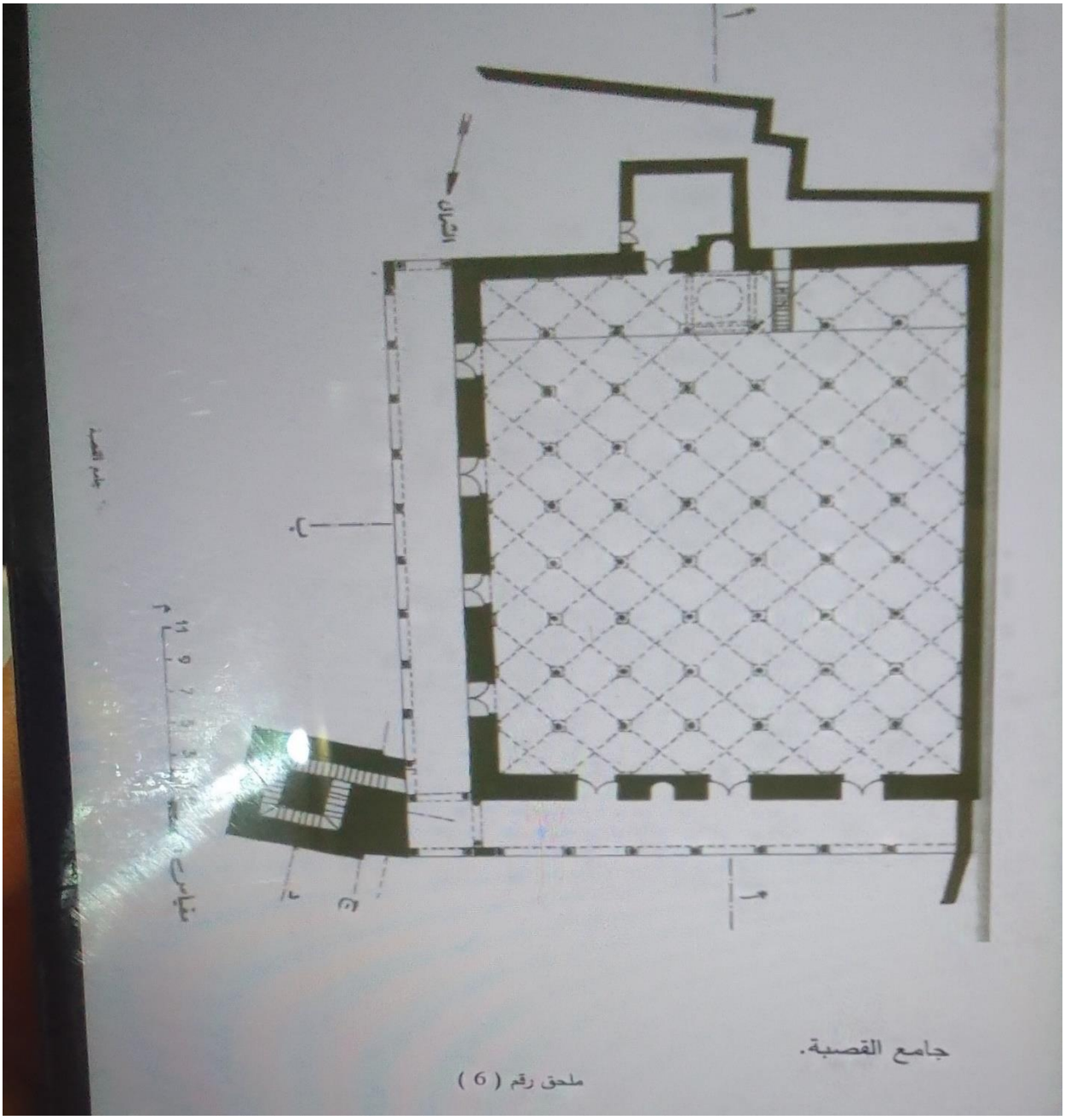
جامع الزيتونة-تونس-



محراب جامع الزيتونة

291

المصدر : محمد بن خوجة ، صفحات من تاريخ تونس / ص 291



جامع القصبة.

ملحق رقم (6)

المرجع : الدولاتلي عبد العزيز ، مدينة تونس في العهد الحفصي ص 151

قائمة

المصادر

والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

أ المصادر:

1- ابن الشماع بن أحمد محمد، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح وتق، الطاهر بن محمد المعموري، (د ط)، الدار العربية للكتاب، (د م ن)، 1984م.

2- ابن أبي دينار، الرعيني محمد، المؤنس في أخبار إفريقية، وتنوس مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، 1286م.

3- ابن بطوطة، الرحلة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تق وتح: محمد عبد المنعم العريان، ج1، دار إحياء العلوم، بيروت، 1407هـ/1987م.

4- ابن حوقل، بن حوقل القاسم، صورة الأرض، (د ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996م .

5- ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة ، تح وتع :عبد الله محمد الدرويش ، ج1 ، دار يعرب ، دمشق، 1425 ه / 2004 م (ت بعد 700 ه / 13300 م).

6- ابن رشيد السبتي بن عمر محمد، الرحلة، دراسة وتحليل:أحمد حدادي، ج1،(د ط)، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 1424هـ/2003م.

7- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، ج1، (د ط)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1961.

8- ابن قنفد القسنطيني، بن الخطيب أحمد، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، (د.ط)، الدار التونسية للنشر، الاسكندرية، 1968م.

9- ابن منظور، بن مكرم محمد، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وآخرون،ج1،(د، ط)، دار المعارف، القاهرة، (د، ت).

10- ابن منظور، بن مكرم محمد، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وآخرون، مج 6،(د، ط)، دار المعارف، القاهرة، (د، ت) .

11- الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، أعتنى بتصحيحه ونشره، هنري بيريس، (د ط)، مكتبة معهد الدروس العليا الإسلامية، الجزائر، 1376ه/ 1957م.

12- الأنصاري محمد الفهرست ، تح وتع: محمد العنابي، (د ط)، المكتبة العتيقة، تونس، (د ت).

13- البرزلي بن أحمد البلوي، فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تق و تح: محمد الحبيب الهيلة، ج1، الغرب الاسلامي، بيروت، 2002.

14- البكري بن عبد العزيز عبد الله، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، الجزاء 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424ه/ 2003م.

15- التجاني بن محمد عبد الله، الرحلة، تق: حسن عبد الوهاب، (د ط)، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981.

16- الجاحظ بن بحر عمرو، التبصر بالتجارة في وصف يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة، والأعلاق النفسية والجواهر الثمينة، عنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: حسن حسني عبد الوهاب، ط3، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، 1414هـ/1994م.

17- الحميري بن عبد المنعم محمد، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.

18- الزركشي بن عبد الله محمد ، البرهان في علوم القرآن (د.ط) ، (د.د.ن) ،(د.م)ن (د.ت).

19- الزهري بن أبي بكر محمد، كتاب الجغرافيا، اعتنى بتحقيقه: محمد حاج صادق، (د ط)، مكتبة الثقافة الدينسية، ش بورسعيد-الظاهر (د، ت).

20- العمري بن يجين شهاب الدين، (ت 749ه)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: حمزة أحمد عباس، ج4، (د ط)، المجمع الثقافي أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2002.

21- الغبريني، بن عبد الله أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح وتع عادل نويهضى، ط 2، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1979.

22- القلقشندي أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، ج5، (د ط)، المطبعة الأميرية، بالقاهرة، 1333ه/1915م.

23- الكرخي الاصطخري إبراهيم، مسالك الأبصار، (د ط)، مطبعة بريل، هولندة، 1927م.

24- المالكي بن محمد عبد الله،رياض النفوس، تح: بشير البكوش، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنلن، 1402هـ/1982م.

25- المقري بن محمد أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إخسان عباس، مج4، (د ط)، دار صادر، بيروت، 1388هـ/1968م.

26- الونشريسي، بن يحي أحمد، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي، ج2، (د ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت (د.ت).

27- الونشريسي بن يحي أحمد، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقيا و الأندلس والمغرب ، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ج 5 ، (د.ط) دار الغرب الإسلامى ، - بيروت(د.ت).

28- الونشريسي بن يحي أحمد، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقيا و الأندلس والمغرب ، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ج 6 ، (د.ط) دار الغرب الإسلامى ، بيروت

29- الونشريسي بن يحي أحمد، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقيا و الأندلس والمغرب ، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ج 10 ، (د.ط) دار الغرب الإسلامى ، بيروت (د.ت).

30- إبن حزم بن أحمد علي، جمهرة أنساب العرب، تح وتع: عبد السلام هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، (د ت).

31- بن خوخة محمد، معالم التوحيد في القديم وفي الجديد، المطبعة التونسية، تونس، 1358-1939.

32- بن سحنون محمد، داب المعلمين، تق وتح: محمود عبد المولى، ط2، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1981.

33- كربخال مارمول، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج3، (د ط)، دار لنشر المعرفة، الرباط، 1408- 1409ه/ 1988- 1989م.

34- ليون الإفريقي، الوزان حسن، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402ه/ 1982م.

35- مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب، نشر وتح: سعد زغلول عبد الحميد، (د ط)، دار الشؤون الثقافية العامة، الكويت، 1985م.

36- التنبكتي، بابا أحمد ، (963خ / 136م) ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتق عبد الحميد المراقة، ط2، دار الكاتب، طرابلس، 1999.

37- الحموي بن عبد الله ياقوت، معجم البلدان، مج2، (ط د)، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م.

38- الزركشي بن ابراهيم محمد(894 ه / 1488م)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح وتع : محمد ماضود ط2 ، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.

39- الشيزري بن نصر عبد الرحمان، نهاية الرتبة في طلبالحسبة، قام على نشره الباز العريني (د ط)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1365ه/ 1946م.

40- العبدري بن محمد، الرحلة، تح وتق: علي إبراهيم كروي، ط2، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1426ه/2005م.

41- القلصادي علي، الرحلة، دراسة وتح: محمد أبو الأجفان، (د.ط)، الشركة التونسية للتوزيع، (د.ط)، 1398ه/1978م.

42- إبن خلدون عبد الرحمان ، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن و وضع الحواشي و الفهارس : خليل شحادة ج1 (د.ط)، دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع، بيروت – لبنان 1431 ه / 2001 م

43- سورة الأعراف ، رواية حفص.

44- مجهول، تاريخ البربر المعروف بمفاخر البربر، تح وتع: محمد رينهم، جهاد للطباعة والنشر والتوزيع، (د م)، 1998م.

المراجع :

الكتب:

1- الدولاتلي عبد العزيز، مدينة تونس في العهد الحفصي، محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي، (د ط)، دار سبرايس للنشر، تونس، 1981م.

2- الهادي الشريف محمد، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993م.

3– أبو مصطفى كمال، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المغرب للونشريسي، (د ط)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996م.

4– برنشفيك روبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، نقله إلى الحرية: حمادي الساحلي، الجزء2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

5– بن خرجة محمد، صفحات من تاريخ تونس، تق وتح: حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1986م.

6– بن عامر أحمد، الدولة الحفصية، (د ط)، دار الكتب الشرقية، تونس، 1392ه/ 1972م.

7– جوهر حسن محمد، تونس، (د ط)، دار المعارف، بمصر، 1961م.

8– حسن محمد، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، ج1، (د ط)، جامعة تونس الأولى (د م ن)، 1999م.

9– قالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام...الترجمة عن الألمانية: كامل العسلي، (د ط)، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1970م.

10– محفوظ محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1, ط1, دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان, 1406ه/1986م.

11– بشتاوي عادل سعيد، الأمة الأندلسية الشهيدة، (د ط)، لندن، 2000م.

12– عبد العزيز محمد، التربية الاسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مص، 1407ه/1987م.

الأطروحات والمذكرات:

1– الدليمي، منذر عطا الله، مدينة تونس، دراسة في أحوالها السياسية والحضالرية (296– 981ه/ 908–1572م)، إشراف: بديع محمد، أطروحة نيل درجة الدكتوراه، فلسفة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ كلية الآداب، جامعة الأنبار، 1436ه/ 2015م.

2– تومي برشمير، التوت الشرقي تحت حكم الحفصيين من الأصول إلى نهاية القرن الخامس عشر، تقديم روبرت برونشفيج، رسالة دكتوراه، في الآداب ، كلية الآداب، الجزائر ، 1940 م.

3- رحيم عائشة ، المؤسسات العلمية في العهد الحفصي، إشراف : سي عبد القادر عمر،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم عاني تاريخ المغرب الإسلامي، تاريخ قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية ، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان، 1439ه-14440ه / 2017 م – 2018 م.

4- جبوده مريم، التجار في بلاد افريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي(555-980ه/1160-1572م)، إشراق سامية مصطفى مسعد، رسالة متقدمة لنيل درجة الدكتوراه، في الآداب، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الزقايق،2008م.

المجلات:

1- بكار العرفي فرحات، الأنشطة الاقتصادية في مدينة تونس خلال العهد الحفصي في الفترة الزمنية الممتدة ما بين القرنين (7-10ه/ 13-16م)، مجلة كلية الآداب، جامعة بنغازي، (د ت).

2- تمام محمد، الأحوال الاجتماعية في تونس في القرن السادس عشر من خلال رؤية الرحالة الاسباني مارمول كربخال، مجلة الدراسات الإفريقية، مج46، عدد3، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 2024.

3- قطوش نورة، "الوضع الثقافي للدولة الحفصية خلال القرن السابع الهجري"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج 19، عدد1، 1 جوان، 2023م.

4- نميش سميرة، "الحركة العلمية بدولة بني حفص ق8-10ه/13-16م"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 5، العدد 11، سبتمبر 2017م.

5- نويه عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2, مؤسسة نويه الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت لبنان, 1400ه/1980م.

6- حادة حافظ، الحياة الاقتصادية الإفريقية في العهد الحفصي من خلال نوازل البرازلي والونشريسي وكتب الحبسة، مجلة علمية محكمة، العدد السابع، جامعة الزيتونة، تونس، 2009م.

7- عبد الله مسعود أحمد، الأثر الاجتماعي للهجرات الأندلسية إلى إفريقيا الحفصية خلال القرن السابع والثامن الهجري/ الثالث عشر والرابع عشر ميلادي، مجلة الأكاديمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد23، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم بدر، جامعة الزنتان، 2022م.